جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الفَاءَاتُ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ

دراسة في المعنى والسياق والقراءات

إعداد الدكتور

نصر سعيد عبد المقصود حسن

الأستاذ المساعد في قسم القراءات
في كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها

مستلة من

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد التاسع والثلاثون،
لعام ١٤٤١هـ- يونيو ٢٠٢٠م والمودعة بدار الكتب تحت رقم
٢٠٢٠/٦١٥٧ والترقيم الدولي I.S.S.N 2636-2481

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٩٠-٤٨٢٢٢٢٠-

الفَاءَاتُ فِي سُورَةِ الصَّافَّات
دراسة في المَعنى والسياق والقراءات

الدكتور

نصر سعيد عبد المقصود حسن

قسم القراءات في كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها، جامعة الأزهر، طنطا.

البريد الإلكتروني: nsahi1970@gmail.com

الملخص:

جمعت فيه فاء العطف، وبينت معانيها، وأثر السياق في اصطفاء الفاء على وجه الخصوص، مع أن هناك أدوات أخرى للعطف، كالواو مثلًا، ودرست كل موضع على حدته، ووضحت نوع الكلمات الداخلة عليها، من حيث الاسمية والفعلية والحرفية، والفرق بينها، وما ورد فيها من قراءات قرآنية أو شاذة، وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث انفراد الفاء من بين حروف العطف بقوة الربط بين معطوفيها وإن فصل بينهما بفواصل كثيرة، وأن معنى التعقيب لا يعني السرعة دائما، بل يقدره السياق، وأن قصة إبراهيم في سورة الصافات أكثر قصة ذكر فيها حرف الفاء في القرآن الكريم كله، انسجامًا مع أهداف السورة ومقاصدها، وتناسقا وتناغما مع سياقها العام والخاص.

الكلمات المفتاحية: الفاء– سورة الصافات– المعنى – السياق

Conjunctive Fain Surat As-Saffat
A study in Meaning, Context, and Recitations

Nasr Saad Abdelmaksood Hassan
Email: nsahi1970 @gmail.com

Abstract:
In which I traced the use of the conjunctive *fa* and identified its meanings, and the impact of the context on the selection of this particle in particular, although there are other conjunction particles such as *wa*, for example. I examined instance separately and identified the type of words (nouns, verbs or prepositions) to which fa is attached.

I also analyzed the different irregular modes of recitation for each instance. Results showed that conjunctive fa is the most powerful particle in linking words, it marks succession, but not always speed according to the context. The story of Abraham in Surat As-Saffat is where the conjunctive fa has the highest frequency in the whole corpus of the Quran. This is in harmony with the goals and purposes of the surah, and in harmony and with its general and specific contexts.

Keywords: Conjunctive *Fa*- Surat As-Saffat- Meaning - Context

المُقَدِّمَة

الحمدُ لله الذي اصْطَفَى من اللُّغات كلِّها لغةَ القرآن، وجعلنا من طُلَّابِها وخُدَّامِها، وأفاءَ علينا بنعمة تدبر كتابه، وأفاض علينا من بركاته وفيوضاته ما يعجز عن شكره البيان، وتسجد لعظمته الأركان، والصلاة والسلام على سيدِنا محمد سيدِ وَلدِ عَدْنان، الذي أُنزِل عليه القرآن، فرتَّله بأحسنِ تلاوةٍ، وأعذبِ لِسان، ورَضِيَ اللهُ –تباركَ وتعالى– عن جميعِ الصَّحابةِ والآل، وعنَّا بهم، بكرمِك وجودِك يا أرحمَ الراحمين، وبعد،..

فإنَّ لسورةِ الصافَّاتِ وَقْعًا خَاصًا، ولآياتِها القصيرةِ الكثيرةِ إيقاعًا فريدًا، ولكلماتها وحروفها عمومًا معانيَ بديعةً، ولحرفِ الفاءِ على وَجْه الخُصُوصِ دلالاتٍ ساميةً– تَلْفِتُ الأَنظَارَ، وتُحَرِّكُ الهِمَمَ إلى اسْتِلْهَامِ دُرَرِ المَعانِي، وكُنُوزِ المَرامِي.

فقد تكررَ صوتُ الفاءِ (حرفَ مَعْنَىً) كثيرًا في سورةِ الصَّافَاتِ، فقد وَرِدَ ثمانيًا وخمسين مرة حرفَ عطفٍ، وتَعَدَّدتَ معانيه، كما تعددتْ أنواعُ الكلمات الداخل عليها.

ومن اللافتِ للانتباهِ شدةُ التناسُبِ والالتئامِ بينَ صوتِ الفَاءِ وقِصَرِ الآياتِ، وإيقاعِها السريع، من جهةٍ، وبينَ دَلالةِ صوتها ودَلالة الآياتِ وسِياقاتِها من جهةٍ أخرى، وقد نبَّهَني إلى ذلك أخي الأستاذُ الدكتور أحمد محمد سعيد[1]– بارك الله

(١) هو فضيلة العالم الجليل الأستاذ الدكتور/أحمد محمد محمود سعيد، أستاذ البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر الشريف، وقد شرفت بزمالته في كلية الآداب – جامعة طيبة في المدينة المنورة– على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم!

فيه- سائلًا عن سببِ كَثرة وُرودِ هذه الفاءاتِ في هذه السُّورةِ المُباركةِ، وكَم لذلك السائل-الذي هو أعلم من المسؤول- من أيادٍ بيضاءَ في مجالِ البحث، فجزاه الله خيرا!

فكان ذلك البحث محاولةً للإجابة على ذلك السؤال، بل على أسئلة أخرى تخدم البحث وتثريه، ومن أهم أسئلة البحث ما يأتي:

١-ما عدد الفاءات الواردة في سورة الصافات؟ وما نسبتها في كل محور من محاورها؟

٢-ما الرابط بين مدلول الفاء واسم السورة؟ وما مناسبة صوتها بقصر الآيات؟ وما علاقته بأهداف السورة؟

٣-ما أثر السياق في اصطفاء الفاء في كل موضع من السورة الكريمة؟

٤-ما القراءات الواردة في الآيات المشتملة على الفاءات، وما العلاقة بين اختلاف القراءة ومعاني الفاء؟

٥-ما السر في تكرار الفاء العاطفة في قصة الخليل إبراهيم (عليه السلام) في سورة الصافات ذاتها أكثر من غيرها؟

٦-ما الفرق بينها وبين الواو في المواضع المتشابهة؟

٧-تعد الفاء رابطة ما بعدها بما قبلها..فما مظاهر ذلك الربط في السياق؟

هذا، ولم أقف- حسب علمي المحدود- على دراسةٍ لهذا الموضوع، وإن كان العلماء لم يألوا جهدًا في الحديث عن معاني الحروف في القرآن الكريم، كما في معاني الحروف للرُمَّاني، والجَنَى الداني في حروف المعاني للمُرادِي، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ عُضيمة، وغيرها، ولكن البحثَ في مثل ما نحن فيه من تكرار حرف بعينه في سورة، ومحاولة الربط بين المعنى والسياق في آن واحد، فهو المراد الذي نسعى إليه.

هذا، وفي ضوء الدراسة الوصفية التحليلية شرعت في البحث، وقسَّمْتُه إلى ثلاثةِ مباحثَ مسبوقةٍ بمقدمة وتمهيد ومشفوعةٍ بخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها أهمية البحث وسبب اختياره، والتمهيد: وفيه الحديث عن دلالة صوت الفاء، ومعانيها، وأهداف سورة الصافات، وموضوعاتها.
- **والمبحث الأول:** دلالات الفاء في الحديث عن الملائكة والجن والإيمان بالبعث.
- **والمبحث الثاني:** دلالات الفاء في قصص المنذِرين وعاقبة المنذَرين.
- **والمبحث الثالث:** دلالات الفاء في الرد على مزاعم المشركين وافتراءاتهم.
- **والخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث، وأسأل الله العون والسداد والتوفيق!

التَّمْهِيدُ

وردت الفاء العاطفة في ثمانية وخمسين موضعًا في سورة الصافات داخلةً على الاسم والفعل والحرف، متعددة معانيها حسب السياق.

مخرج الفاء وصفاتها ودلالتها الصوتية:

الفاء من الحروف الشفوية، فصوتها عبارة عن هواءٍ خارجٍ من الرئتين بقوةٍ إلى الشَّفَتَيْنِ مُحْتَكًّا بهما وبالثنايا العليا عند خروج الزفير المندفع، فيُسْمَع صوتها.

والفاء مَهْموسةٌ (لا يهتز الوتران الصوتيان عند مرور هوائها بهما)، رِخْوةٌ (لا ينحبس النفس عند مخرجها)، مستفلةٌ (لا يستعلي أقصى اللسان آنَ نطقها)، منفتحة (لا ينطبق أقصى اللسان وطرفه مع الحنك الأعلى عند نطقها)، مُذْلَقة (سهلة النطق، لا تكلف الجهاز الصوتي جُهْدًا)[1].

وتعبر الفاء عن النفاذ بقوة (كالطرد والإبعاد) إلى ظاهر الشيء، مع اتساع النافذ أو انتشاره[2].

(١) ينظر: العين للخليل ٦٥/١، والكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤، وسر صناعة الإعراب ٥٣/١، وأسباب حدوث الحروف لابن سينا ١١، ونهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر ٣٨، والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ٤٠.

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل للدكتور جبل ٣٤/١، وفيه: أخذًا من الفُوفة- بالضم: القشرة الرقيقة تكون على النواة...ومن الفَيْف والفَيْفاء-بالفتح فيهما: المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة.."واليأفوف: الأحمق الخفيف الرأي (فارغ العقل)، واليأفوفة: الفراشة" جسمها دقيق هش كأنه دقيق، وأبرز ما فيها أجنحتها المنتشرة وطيرانها.

علاقة دلالتها باسم السورة الكريمة:

سورة الصافات، أو "والصافات"، سميت بذلك لوقوعها في مطلعها وصفًا للملائكة، وقد وقع في سورة الملك وصفًا للطير.

وهو مشتق من "الصَّف"، وهو أن تجعل الشيء على خط مستوٍ، كالناس والأشجار ونحو ذلك(١)، وقد وصفت به الملائكة لأنها تَصفُّ نفسها للصلاة، أو تصف أجنحتها، أي: تبسطها انتظارًا وتَرَقُّبًا لأمر الله تعالى.

وهذا الصف عبارة عن امتداد كالسطر مستويًا رقيقًا(٢)، وذاك المعنى كائن في صوت الفاء؛ إذ إن هواءَها يخرج من الرئتين بكثافة، ثم يتسرب شيئا فشيئا من بين الشفتين، مع استرسال واستواء، حتى ينتهي النَّفَس، ولعلك تلحظ أنها تُكَوِّنُ ثُلُثَي الفعل (صفف)، فالصاد المستعلية المفخمة تشير إلى تلك الكثافة من هذا الشيء الرقيق (الأجنحة قبل بسطها أو الهواء قبل تسربه) وتضعيف الفاء يعبر عن النشر والبسط شيئا فشيئا.

معاني الفاء:

ذكر أهل اللغة للفاء ثلاثة معانٍ، تُعَدُّ أصولًا لها، وما عداها يُعَدُّ فرعًا عنها، أو داخلًا فيها، وهي [العطف، والجواب، والزيادة]، فالعطف: نحو قولك: رأيت زيدًا فعمرًا، وهي مرتَّبة، تدل على أنَّ الثاني بعد الأول بلا مهلة(٣).

والمعنى المشهور للفاء العاطفة هو الترتيب مع التعقيب، كما عبَّر عنه سيبويهِ عنه بقوله: "والفاء، وهي تضم الشيءَ إلى الشيء، كما فَعَلَتِ الواوُ، غيرَ أنَّها تجعلُ ذلك مُتَّسِقًا بعضُه في إِثْرِ بعضٍ"(٤).

---

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (صف)٣٦٢.

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لأستاذي الدكتور جبل (صفف)١٢٣٠/٣باختصار.

(٣) ينظر: معاني الحروف للرماني ١٧.

(٤) الكتاب ٢١٨/١.

وذكر المبرد أن الفاء توجب أن الثاني بعد الأول، وأن الأمر بينهما قريب، نحو قولك: رأيت زيدًا فعمرًا، ودخلت مكةَ فالمدينةَ"(١).

وثَمَّةَ تنبيهٌ مُهِمٌّ: وهو أن التعقيب لا يعني سرعة لُحوقِ الثاني بالأول مطلقًا في كل المواضع، وإنما تعقيب كلِّ شيءٍ بِحَسْبِه(٢)، فقولُك: دخلتُ المدينةَ فمكةَ، لا يَعني أنَّك دخلتَ مكةَ بعد دخولِك المدينةِ في الوقتِ ذاتِه، أو بُعَيْدَه، وإنما بِحسْبِ ما بين البلدين من المسافة، وبحسب نوع السَّبَبِ المُوَصِّلِ لِدُخُولِهما.

أو أنه بعد دخوله المدينةَ لم ينشغلْ بشيءٍ غيرِ أسباب دخولِ مكةَ، وإن طالتْ مدةُ ما بينهما.

وقال بعضُهم: الترتيبُ بالفاء على ضربين: ترتيب في المعنى-بأن يكون المعطوفُ بها لاحقًا مُتَّصِلًا كقولِه تعالى: **{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}** [الانفطار:٧].

وترتيبٌ في الذِّكر، وهو نوعان: الأول: عطفُ مُفَصَّلٍ على مُجْمَلٍ، كقولك: توضأ، فغسل وجهَه ويديه، ومسحَ برأسِه، ورجلَيْه، ومنه قوله تعالى: **{وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}** (هود/٤٥).

والآخر: عطفٌ لِمُجَرَّدِ المشاركة في الحكم، بحيث يَحْسُنُ الواوُ.

وهذا موجود في اللغة، غير أن القرآن له بلاغته التي تقتضي فوقية اصطفاء حروفه.

والجواب على ضربين: أحدهما أن ينتصب الفعل بعدها على إضمار أنْ، وقد أفاض النحاة في الحديث عن مواضعه وأمثلته.

---

(١) ينظر: المقتضب ١/١٠.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ٦٢.

والثاني: أن تستأنف الكلام بعدها، وذلك في الشرط، كقوله تعالى: {**وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنْهُ**} (المائدة/٩٥).

وأما زيادة الفاء- وإن وقعت في اللغة فإنني لا أرتضي أن يقال: حرفٌ زائدٌ في الذكر الحكيم- فقد مثلوا له بنحو قوله تعالى: {**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ**} (الجمعة/٨). أي: إنه ملاقيكم(١).

وأرى- والله أعلم- أن دخول الفاء هنا في خبر (إنَّ) للدلالة على لزوم صفة فرار المخاطبين من الموت، حتى صارت صفةً لكل يهوديٍّ إلى يوم القيامة، فأشبهت الصفة الشرط من هذا الوجه، فدخلت الفاء على الخبر لما في تلاحم الصفة مع موصوفها من معنى الشرط، وسياق الآيات الكريمة يدل عليه، في السورة ذاتها، وفي القرآن الكريم كلِّه.

وقد تنبه الإمام العكبري (~) إلى هذا المعنى، ولكن من جهة أخرى(٢).

ثم ذكروا معانيَ أُخَرَ للفاء، كفاءِ السببية، والفاء الفصيحة، والفاء التفريعية، والفاء التفسيرية، وإليك رسمًا يوضح معانيَ الفاء ومعانيَ معطوفِها باختصار:

(١) ينظر: معاني الحروف للرماني ١٧ وما بعدها باختصار.

(٢) ذكر العكبري أن الفاء دخلت لِما في "الذي" من شبه الشرط، ومنع منه قوم، وقالوا: إنما يجوز ذلك إذا كان الذي هو المبتدأ، أو اسم إنَّ، والذي هنا صفة، وضعَّفوه من وجهٍ آخرَ، وهو أن الفرار من الموت لا يُنَجِّي منه، فلم يشبه الشرط، وقال هؤلاء الفاء زائدة. وقد أجيب عن هذا بأن الصفة والموصوف كالشيء الواحد، ولأن الذي لا يكون إلا صفة، فإذا لم يذكر الموصوف معها دخلت الفاء والموصوف المراد، فكذلك إذا صرح به، وأما ما ذكروه ثانيا فغير صحيح؛ فإن خلقا كثيرا يظنون أن الفرار من أسباب الموت ينجيهم إلى وقت آخر. (ينظر: التبيان ٤١٢/٢).

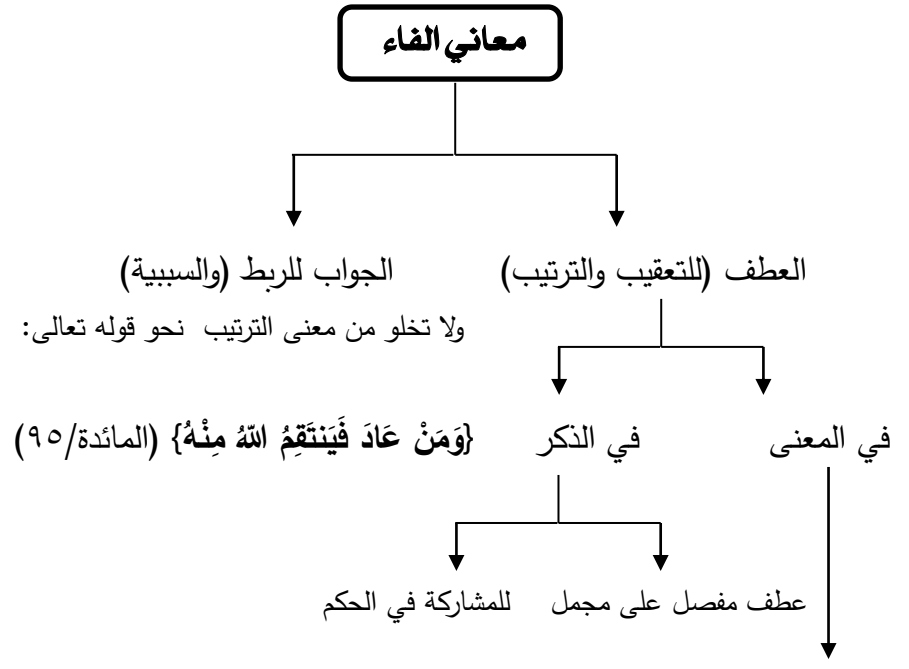

يدل التعقيب –في العادة– على كمال سرعة المعطوف– مع ملاحظة أن تعقيب كل شيء بحسبه، كما سبق، ويتجلى معنى التعقيب السريع في الفاء الفصيحة أكثر من غيرها؛ إذ إنها تفصح عن معطوفٍ عليه محذوفٍ، نحو قوله تعالى: {**اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**} (الفرقان/٣٦)، سواء أكان المحذوف جوابًا، كما في الآية الكريمة أم غيره.

والفاء التفريعية لتفريع الآتي على السابق، كقوله تعالى: {**وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**}[يس:٧٢].

والفاء التفسيرية يكون ما بعدها تفسيرًا لما قبلها، نحو قوله تعالى: {**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ**}[الأعراف:٤].

ولا شك أن الحَكَم في تَحديدِ هذه المعاني هو السياقُ العامُّ للسورة، والسياقُ الخاصُّ للآيات الواقعةِ فيها تلك الفاءات.

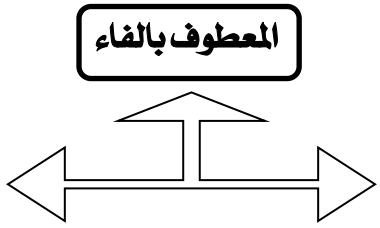

عطف صفات لموصوف واحد، فالترتيب يكون في مصادر هذه الصفات نحو: جاءني زيد الآكل فالنائم، أي الذي يأكل فينام.

عطف صفات والموصوف متعدد، فالترتيب يكون في تعلقها بموصوفاتها نحو: يقدم الأقرأ فالأفقه فالأقدم هجرة.

• وأما عطف المفرد بالفاء على المفرد غير صفة مثل: رأيت زيدًا فعمرًا؛ فإنه لا يدل على السببية، ولم يقع ذلك في القرآن الكريم[١].

أهداف سورة الصافات وموضوعاتها[٢]:

تهدف سورة الصافات – كما تهدف السور المكية– إلى ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتوحيد الله تعالى، والحديث عن الإيمان بالله واليوم الآخر من بعث

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٨٩/٢.

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٢٤٣/١٦، فتح القدير ٤٧٧/٢، وما بعدها، في ظلال القرآن ٣٠٠٣/٥، أهداف كل سورة ومقاصدها للدكتور عبد الله شحاته ٥٧٥/١ وما بعدها. باختصار وصياغة.

وحشر وحساب وجنة ونار، غير أنها تختص بالرد على المشركين في زعمهم أن الملائكة بنات الله، وأن للجن مع الله نسبًا- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وقد جرى السياق في السورة على تثبيت قضية التوحيد من هذه الزاوية على ثلاثة محاور رئيسة، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

المحور الأول: الملائكة والجن وموقفهم من الإله وآثار وحدانيته وقدرته على البعث

وقد اشتمل على النقاط الآتية:

أولًا: بدأت السورة بالقَسَمِ بالملائكةِ في صفات تتعلق بالأعمال المكلفةِ بها.

ثانيًا: الحديث عن استراق الجنِّ السمعَ من الملأ الأعلى، وما حَلَّ بهم من قَذْفِهم بالشُّهُب الثاقبة إذا أرادوا ذلك بعد بِعثة النبي (ﷺ).

ثالثًا: عرض قضية إنكار الكافرين البعثَ، والردُّ عليهم.

رابعًا: وصف لاشتراك المجرمين في الدنيا على الباطل واشتراكهم في العذاب يوم القيامة، وتصوير موقف المؤمن بالبعث والمنكر له؛ ليكون عبرة وعظة.

المحور الثاني: قصص المنذِرين وعاقبة المنذَرين، وتتمثل في القصص الآتية:

١- نوح (عليه السلام) واستجابةُ اللهِ نداءَه، ونجاتُه وأهلِه المؤمنين.

٢-إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) وقد انفردت السورة بذكر حَلْقة الرُّؤْيا والذَّبْح والتضحيةِ والفداء.

٣-موسى وهارون (عليهما السلام) ومِنَّةُ اللهِ عليهما بالنُّبُوَّة والنَّجَاة من كَيْدِ الكافرين.

٤- إلياس (عليه السلام) ودعوتُه قومَه بترك عبادة صنَمٍ يُسَمَّى بَعْلًا، وعبادةِ الله تعالى وحده.

٥-لوط (عليه السلام) ونجاته وأهلِه من المؤمنين- باستثناء امرأتِه.

٦-يونس (عليه السلام) وانفراد سورة الصافات بذكر حلقة من قصته، حيث اندفاعُه إلى الفلك المشحون-بعد امتناع قومه من الإيمان، وما حدث من التقام الحوت له، ثم نجاته؛ لأنه كان من العابدين المُسَبِّحين.

المحور الثالث: الرد على مزاعم المشركين وافتراءاتهم، وفيه النقاط الآتية:

١- العود إلى ترسيخ قضية التوحيد، بعد سرد أدلتها ووسائلها، وخطاب سيد الدعاة (ﷺ) وطلبه منه أن يسألهم عن هذا الافتراء المختلق، وهو زعمهم بأن الملائكة بنات الله- وأن بينَه وبينَ الجِنَّة نسبًا- سبحان الله وتعالى عما يقولون.

٢-بيان أنَّ العاقبة للمتقين، وأن جند الله هم الغالبون، مهما يكن من كيد الكائدين، وعراقيل المنافقين، وتكذيب الكاذبين.

٣-خطاب النبي (ﷺ) أن لا يحملَ هَمَّ هدايتِهم أو كفرِهم- إنْ هو بَلَّغَهُم-وعليه أن يَترُكَهم ويُبْصِرَ قضاءَ الله فيهم، فسوف يبصرون.

٤-ختم السورة الكريمة وتلخيص محاورها الثلاثة في ثلاثِ جُمَلٍ قَصِيرةٍ فَرِيدَةٍ، قال تعالى: {**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} [الصافات (١٨٠، ١٨١، ١٨٢).

هذا، وقد ارتبطت دلالة الفاء ومعانيها بأهداف السورة وموضوعاتها-ارتباطا وثيقا، وتجلى ذلك في كل موضع من مواضعها، وفي المبحث التالي بيان الفاءات الواردة في المحور الأول من السورة الكريمة:

المبحث الأول

دلالات الفاء في الحديث عن الملائكة والجن والإيمان بالبعث

قطع هذا الموضوع من مطلع سورة الصافات إلى الآية الثامنة والستين من السورة ذاتها، حيث بدأ بالقَسَم بالملائكة التي تعمل أعمالا بأمر الله، فمنها الصافاتُ قوائمَها في الصلاة، أو الصافاتُ أجنحتَها انتظارًا لأمرِ اللهِ، ومنها الزاجراتُ مَن يستحق ذلك مِن العصاة، ومنها التاليات للذكر، وكان جواب القسم متعلقا بوحدانية الله تعالى: **{إِنَّ إِلَهَكُم لَوَاحِد}**؛ ردًّا على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

ثم الحديث عن الشياطين واستراقهم السمع، ورجمهم بالشهب، والحديث عن البعث وما يتلوه من مشاهد الحساب والنعيم والعذاب وغير ذلك.

وقد وردت الفاء في هذا الموضوع في سبعةَ عشرَ موضعًا، أعرضُها على النحو الآتي:

- **قال عز من قائل: {فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا}** [الصافات:٢، ٣].

افتُتِحَتْ السورةُ الكريمةُ بالقَسَم بالملائكة أو بطوائف من الملائكة اتصفت بصفات معينة، فأقسم بالصافات صفًّا، الملائكةِ التي تَصُفُّ قوائمَها في الصلاة، أو تصف أجنحتَها انتظارًا لأمر الله تعالى، وأعقبها بصفتي الزجر وتلاوة الذكر.

وهذه الفاء تشير إلى كمال السرعة في تنفيذ أمرِ الله تعالى، سواءٌ أكان الأمرُ متعلقًا بزجر الكافرين، أم بتلاوة الذكر.

وقد تكون هذه الصفات لطائفة واحدة من طوائف الملائكة، أو إحداها لطائفة والأخرى لأخرى، فإن القَسَم بالملائكة أو بصفات خاصة بالملائكة ليتعلقُ فَضْلَ تعلقٍ بجواب القسم، وهو قوله: **{إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِد}** [الصافات:٤].

وعلاقة المُقْسَمِ به بالجواب واضحةٌ من خلال سياق السورة الكريمة؛ حيث ادَّعى المشركون بهتانًا أن الملائكة بنات الله، وأن بين الله والجِنَّة نسبًا- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فمن ثَم كان القَسَم بالملائكة، ووصَفَهم بصفات تدل على

كمال طاعتهم لله تعالى من جهة، كما تدل على تسلطهم على الكافرين وعلى الجن الذين يسترقون السمع من جهة أخرى.

فأيُّ عاقلٍ هذا الذي يزعم زعمَكم، ويَفْرِي فريتكم؟! فَذِكْرُ الصفاتِ دون الموصوفاتِ دليلٌ على فناءِ ذواتِهم في طاعةِ ربِّهم.

ولِيَلْفِتَ الانتباهَ إلى تكليفِهم بأعمالٍ تتناقضُ مع زَعْم المشركين وافتراءاتهم.

كما أن الفاء تدل على الترتيب مع التعقيب، والترتيب إما لتفاضل الصفات إذا كانت الصفات لطائفة واحدة من الملائكة، فالصف يليه الزجر يليه التلاوة، وقد يكون العكس، وإما لتفاضل تعلق الصفات بالموصوفات إذا كانت لطوائف متعددة.

ونلحظ الانسجام الصوتي بين فاءَي المبنى في قوله: **{والصَّافَّاتِ صَفًّا}** وفاءَي المعنى في قوله: **{فَالزَّاجِرَاتِ، فَالتَّالِيَاتِ}**، فكأنها تحكي بصوتها المهموس، وجرْسها الزفيري المستوي– طاعةَ الملائكة وعبوديتَهم لله تعالى، وعظمَ المسارعة في استجابة أوامر الله تعالى، في نظامٍ فريدٍ، وعملٍ مُتْقَنٍ. وهذه السرعة، وذاك الترتيب، يدل عليهما قوله تعالى: **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُون.لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون}** [الأنبياء:٢٧].

- **وقوله تعالى: {إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِب}** [الصافات:١٠]

هذا استثناء من الجنس، أي: لا يستمعون الملائكةَ إلا مُخالَسَةً، ثم يُتْبَعُون بالشُّهُب[١]، أو مستثنى من الضمير المرفوع في **(لا يسمعون)**[٢]، أي أن

(١) التبيان في إعراب القرآن للعكبري٢/٣٠١، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير٢٣/٩٣.

الشياطين التي كانت تسترق السمع قبل بِعْثة النبي محمدٍ (ﷺ) إذا أراد أحدُهم فعلَ ذلك الآنَ، فحاول استراقَ السمع بسرعةٍ خاطفة؛ فإنه يردف بشهاب يثقبه؛ فلا يستطيع الرجوع، وهذه إحدى خصائص بعثته (ﷺ).

وفي قوله: (فأتبعه) نلحظ التناغم الصوتي والدلالي بين الفاء ومعاني الكلمات من جهة، وبينها والسياق من جهة أخرى.

فالفاء العاطفة قد سبقت بكلمتين تشتمل كل واحدة منهما على صوت الفاء في لام الكلمة، وهما كلمتا **(خَطِف الخَطْفَةَ)**، وهما يدلان على نزْعِ الشَّيء مِمَّا يُمْسِكُه بِخِفَّةٍ وسُرْعَة ولُطْفٍ، يقال: خطِف الشيءَ، أي: اجْتَذَبَهُ بِسُرْعَةٍ[1].

و**(أتبعه)** بمعنى تبعه، فهمزته لا تفيد تعدية كهمزة **(أبان)** بمعنى **(بان)**[2].

قلت: ومع هذا فلا تخلو الهمزة الداخلة على الفعل من معنى التقوية**(لا التأكيد)**، فمثلها كمثل قوة دفع **(الصاروخ)** عند الانطلاق، ففائدتها: تقوية معنى الفعل الداخلة عليه، أي تقوية سُرعة الشِّهاب وتقوية ثَقْبِه.

وقد دخلت الهمزة على فعل دال على لحوق الشيء بسرعة وقوة، ولطف **(أو كيد واستدراج)** ولا يوجد في العربية فعل يسد مسده في دقة دلالته على هذا المعنى.

فهناك أفعال: (أتاه، أخذه، جلبه، خرقه،..إلخ)، وفيها بعض هذا المعنى الذي في (أتبعه)، ولا يحمل واحدٌ منها كلَّ معناه.

وموقع الفاء في قوله: (فأتبعه) يفيد أن الشهاب الثاقب مترقب له، ومتلصص عليه.

---

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لأستاذي الدكتور محمد حسن جبل (خطف) ٥٧٩/١.

(٢) التحرير والتنوير ٩٣/٢٣.

ومادة (ت ب ع) تدل على لُحوق الشيء بمتقدم أو سابق بلا فصل مع رقة ولين[1]، ولذلك يقال عن الظل: التُّبَّع؛ لأنه يلحق أصله بلطف، والتبيع: ولد البقر أول سنة[2]، لا يكاد يفارق أمه، فيقفوها، ولا يتركها.

وسياق الآيات يتطلب هذه الفاء؛ فبعد القسم بطوائف الملائكة، وذكر صفاتها خلُص السياق إلى الحديث عن الجن والشياطين للربط بينهما والرد على مزاعم المشركين، و أن الشياطين أنفسَها لا يمكنها استراق السمع إلى الملأ الأعلى، فكيف بكم–معشر المشركين– تدَّعون على الله ما لا تعلمون؟!

أفرأيتم ما يحدث لشياطين الجن عندما يخطف أحدُهم خطفةً من كلمات الملأ الأعلى فيتبعه شهاب يثقبه جزاءً وفاقًا؟!.

- **وقوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ}** [الصافات:١١].

قوله: (فاستفتهم) فعل أمرٍ مجازيٍّ، بدأ بالفاء لربط ما بعدها بما قبلها، وقد اشتمل على فاء أخرى في بنائه، تقع في أوله بعد الألف والسين والتاء الدالة على الطلب.

وصوتها قد أحدث انسجامًا وتناغمًا في جرس الكلمة، وأشارت رخاوتها ورخاوة أخواتها من أصوات الكلمة إلى هدوء وطمأنينة وهوادة، تتفق مع الداعية، وتتناسق مع أجواء العالم العلوي من الملائكة والسماء وزينة الكواكب.

والفاء هنا تفريعية؛ فقد ذكر قبل ذلك قوله: **{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ}** [الصافات:٦]، وتزيين السماء الدنيا بالكواكب– وما أعظمها–إشارة إلى قدرة الخالق (ﷻ)، على خلق ما دونها مما ظهر ومما لم يظهر، فأين هم من هذا

(١) التحرير والتنوير ١٩٧/١.

(٢) ينظر: لسان العرب (تبع) باختصار.

الملك والملكوت؟! أي: فسلهم عن إنكارهم البعث-سؤال استنكار وتعجيب من حالهم وغفلتهم، وفيه سخرية من تقديرهم للأمور(١).

والاستفتاء: طلب الفَتْوى أو الفُتْيَا، وهي إخبار عن أمر يخفى عن غير الخواص، وفيه تبيين المُشْكِل.

ولما كان المسؤول عنه أمرًا محتاجًا إلى إعمالِ نظرٍ أُطلق على الاستفهام عنه فعلُ الاستفتاء(٢).

قلت: وإذا كان في مجرد سؤالهم سخريةٌ وتهكُّمٌ، ففي التعبير عن ذلك الاستفهام بفعل الاستفتاء الدال على تبيين المشكِل زيادةُ سخريةٍ واستهزاء.

وهذا أسلوب فريد في دعوة الخصم المعاند إلى التدبر في الحجج والتفكُّر في الأدلة القطعية التى لا تُنكَر؛ حيث وقع الأمر باستفتاء هؤلاء مفَرَّعًا بالفاء عقيبَ الحديثِ عن خَلْقِ ما هو أكبرُ منهم وأشدُّ، كأنه عرفهم قدرهم الضئيل بالنسبة لهذا الكون الواسع الفسيح، ثم طرح ذلك السؤال.

- **وقوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ}** [الصافات:١٩].

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الرد على منكري البعث، فقد ظنوه بعيدًا، وتناسوا قدرة الخالق (ﷻ) فأجابهم: ستبعثون مستسلمين لأمر الله، وما ذلك على الله بعزيز، وما هي إلا صيحة واحدة، تفجؤكم من دون تمهيد، وإذا هم يبعثون مبهوتين.

ووردت الفاء هنا مرتين، دخلت على أداة الحصر(إنما)، ودخلت على (إذا) الفجائية،

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/٩٤ باختصار.

(٢) ينظر: المرجع السابق بتصرف.

أما الفاء في قوله: (فإنما) فهي تفريعية لقوله: **{قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُون}** الذي جاء ردًا على سؤالهم الذي يحمل معنى الإنكار في قولهم المقصوص عنهم: **{وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين.أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُون.أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُون}**.

وسر الفاء التفريعية بعد هذا الرد الموجز يكمن في دلالتها على تحقيق الجواب وحصره ب(إنما) أي: أمر البعث والإحياء بعد الموت عبارة عن زجرة أي: صيحة واحدة، وهذا يدل على كونه هيّنًا على الله تعالى، ولا يحتاج معالجة، كما أنه شديد السرعة، فهو بلا زمن، كما قال تعالى: **{مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير}** [لقمان:٢٨].

والتعبير بالزجرة يناسب ما جاء في صفة الملائكة في أول السورة **{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْـرًا}** [الصافات:٢]، كما أن صيحة البعث تسمى زجرة؛ للدلالة على تَحَوُّل المبعوثين من حال كونِهم ترابًا مُتداخلًا بعضُه في بعضٍ إلى حال انفصال كلٍ عن الآخر، وابتعاد كلٍ عن الآخر، فلا تتداخل ذراتُ تراب أحدٍ مع الآخر عند البعث، كما لا تدخل روحُ أحدٍ في جسدٍ غيرِ جسدِها(١).

ومن تمام القدرة المطلقة لله تعالى أنه يبعث الخلق جميعًا بزَجْرَةٍ واحدةٍ، كنايةً عن الشدة والقدرة والسرعة، ففي قوله: (زجرةٌ) ردٌّ على إنكارِهم البعثَ بعدما صاروا ترابًا وعظامًا، وقوله: (واحدةٌ) ردٌّ على إنكارِهِمُ الأشدِّ لِبَعْثِ آبائِهِمُ الأَوَّلِينَ.

ولذلك لم تطلق الزجرة على البعث في القرآن إلا مرتين، هنا وفي النازعات في قوله تعالى: **{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَة. فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَة}**[النازعات:١٤، ١٣] وقد

(١) اجتهاد مني، فقد فهمت من مادة (زج ر) أنها تدل على الانفصال والتباعد بقوة، كما جاء في المقاييس لابن فارس (زجر)، ولسان العرب (زجر) والمعجم الاشتقاقي ٨٨٠/٢.

وصفت في الموضعين بقوله: (واحدة) تأكيدًا لوقوعها مرة؛ لأنَّ (زجرة) مصدر على وزن فَعْلة؛ فلا يفهم منه اسم المرة إلا بالوصف الدال على ذلك.. والله أعلم

والفاء الداخلة على إذا الفجائية تدل على أن المفاجأة الحاصلة لهم تَعْقُبُ الزجرةَ مباشرةً، بلا فاصل زمنيٍّ.

ولا شك أن معنى الترتيب والتعقيب ظاهر جدًّا في فاء (فإذا)؛ فمفاجأتهم واندهاشهم يحدث عَقِيبَ زجرة البعث.

- **وقوله تعالى: {مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}** [الصافات:٢٣].

متعلق بما قبله من قوله: **{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ}** [الصافات:٢٢]، فبعد ما أثبت البعث، خلص منه إلى الحديث عن الحشر، وما يعقبه من عذاب لمن أنكر البعث أو أشرك مع الله آلهة أخرى.

وسواء أكان المراد بالأزواج حلائلُهم-كما ذهب إليه الحسن ومجاهد- أو المراد الأصناف ومَن على شاكلتهم من الكافرين والمشركين والمنكرين-كما ذهب إليه قتادة وهو رواية عن عمر بن الخطاب وابن عباس- أو المراد قرناؤهم من الشياطين-كما ذهب إليه الضحاك[1]- فإن قوله: **(فاهدوهم)** ليشير من طرف خفي إلى دور الأزواج (الحلائل أو الأشياع أو القرناء من الجن) في ظلم الظالمين، واجترائهم على الحق.

وذلك أن هؤلاء قد ادّعوا هدايتهم في الدنيا فيما اقترفوه من ظلم وبغي واعتداء، في حق الله-بالكفر والشرك وإنكار البعث والآخرة- وفي حق الناس بالاعتداء والبغي والعدوان- فهاهم هؤلاء قد هُدوا في الآخرة إلى جزائهم صراط الجحيم.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣٣٨/٣، وتفسير أبي السعود٤٠٦/٤، والبحر المحيط ٣٤١/٧، وروح المعاني ٧٩/٢٣، ٨٠، والتحرير والتنوير ٩٤/٣٤.

وفي التعبير عن دلالتهم إلى العذاب بالهداية تهكُّمٌ بهم وتوبيخٌ لهم بالعجز عن التناصر[١]؛ لأن الهداية هي الدلالة على الطريق لمن لا يعرفه، فهي إرشاد إلى مرغوب، وقد غلبت في ذلك؛ لأن كون المهدي راغبًا في معرفة الطريق من لوازم فعل الهداية، ولذلك تقابل بالضلالة، وهي الحيرة في الطريق.[٢]

وجاءت دلالة الفاء على الترتيب مع التعقيب في قوله: **(فاهدوهم)** متناسقةً ومتناغمةً مع سياق الآيات الكريمة؛ للإشارة إلى الإسراع بهم إلى العذاب- والعياذُ بالله- عَقِيَبَ الأمر بحشرهم؛ فطوَى السياق-هنا- ذكر الحساب المعروف، وذكر بعده قوله: **{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}** [الصافات:٢٤]، سؤال تيأيس وتقريع وتهكم[٣] لا سؤال حساب، كما طوَى ذكر القائل، اكتفاء بمقول القول، وما ترتب عليه من العطف بالفاء في قوله: **(احشروا...إلخ)**، ولا شك أن الذي أَمر بحشرهم وعقابهم هو الله رب العالمين، كما طوى ذكر المخاطبين في قوله: **(احشروا..فاهدوهم)** وهم الملائكة الذين وصفوهم بما لا يليق بهم، ونسبوهم إلى الله (ﷻ)، (ﷻ).

- **وقوله تعالى:{فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُون}** [الصافات:٣١].

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري٣/٣٣٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير٢٣/١٠٢.

(٣) قال العلامة أبو السعود في تفسيره: (٤/٤٠٦): وقفوهم أي: احبسوهم في الموقف، كأن الملائكة سارعوا إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم، فأمروا بذلك، وعلل بقوله: (إنهم مسؤلون) إيذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم، ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة، بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم، بل..بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم".ا.هـ

والفاء في قوله: (فحق) تفريع على صريح ما تقدم من عدم إيمان أولئك المخاصمين لهم، وكونهم قوما طاغين في حد ذاتهم وعلى ما اقتضاه وأشعر به خصامهم من كفر هؤلاء المجيبين لأولئك الطاغين وغوايتهم في أنفسهم[١].

وعلى معنى حكايتهم قولَ الله تعالى يكون هناك التفات من الخطاب إلى المتكلم، قال الزمخشري: "ولو حكى الوعيد كما هو لقال: إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم؛ لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم"[٢].

- **قوله تعالى: {فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ}** [الصافات:٣٢]

معنى **(فأغويناكم)** فدعوناكم إلى الغي، فالفاء لتفريع المذكور على حقية الوعيد عليهم، لا لمجرد التعقيب، أو التفريع على مضمون ردهم عليهم من قولهم: **{قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِين. وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِين}**، يعنى: ما أكرهناكم على الكفر، ولكنكم كنتم كذلك، فما إن دعوناكم إلى الغي حتى استجبتم.

ويجوز أن تكون الفاء للترتيب مع التعقيب؛ وذلك لترتب إغوائهم إياهم على حقية الوعيد عليهم، وهو حُبُّ أن يتصفَ المخاطبون بالغواية[٣].

- **وقوله تعالى:{فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُون}** [الصافات:٣٣]

الفاء في قوله: **(فَإِنَّهُمْ)** تفريع على ما شرح من حالهم[٤]، أو فصيحة؛ لأن ما بعدها يعد نتيجة لشرط مقدر قبلها، أي إذا كان حالهم ما علمت فإنهم يوم القيامة مشتركون في العذاب كما اشتركوا في شركهم في الدنيا.

---

(١) ينظر: روح المعاني للآلوسي٨٢/٢٣.

(٢) الكشاف للزمخشري٣٣٩/٣.

(٣) ينظر: روح المعاني ٨٢/٢٣ باختصار.

(٤) ينظر: المرجع السابق ذاته.

ودخولها على حرف التوكيد يشربها معنى التقوية، فيُكْرَهون على هذه الشركة المشؤومة، وإن كانوا قبل ذلك مُخَيَّرِين.

- **قوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون}** [الصافات:٥٠].

وعُطف فعلُ الإقبال هنا بالفاء للتعقيب، في حين وقعت التي قبلها بالواو في قوله تعالى: **{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون}** [الصافات:٢٧]، لأن الواو لمجرد عطف جملة على جملة، والفاء جاءت لعطف جملة على أخرى بينهما مناسبة والتئام؛ "لأنه [قص] أحوال أهل الجنة، ومذاكراتِهم فيها وما كان يجري بينهم في الدنيا وبين أصدقائهم، وهو قوله: **{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِين. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُون}** [الصافات: ٤٨، ٤٩]"(١).

- **في قوله تعالى: {فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيم}** [الصافات:٥٥].

فاءا "فاطلع" و"فرآه" تشيران إلى لهفته وتشوقه إلى مؤانسة رفقائه، وكما شَوَّقَهُم في عَرْضِه أراد أن يُمْتِعَهم.

وفاء (فَاطَّلَعَ) تفيدُ أنَّ هناك معطوفًا عليه محذوفًا في الكلام، لأن قبله عرضًا على رفقائه (فهل أنتم مطلعون) للإيناس، وزيادةِ التلذذ بالحديث، وإمتاعِ النظر كما أمْتَعَ السمعَ، فما أَحْلى الجمعَ بين الإلقاءِ الشِّفاهي ومُشاهَدة الحقائق، وليس للتأكيد أو زيادةِ الأدلةِ ليُصَدِّقُوه؛ إذْ إنَّ الجنَّة لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ.

فالفاء فصيحة، والعطف على مقدر، أي فأظهروا القبول على الاطلاع للإمتاع.

وهذا لا يكون إلا إذا علم أن الله (ﷻ) قد أباح له الاطلاع، ووهبهم حدة النظر وتمام المعرفة، وإلا فكيف يعرض عليهم ما لا علم له به، أو يكون قد دعا الله بذلك، كما قال تعالى: **{وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ}** (يس/٥٧).

(١) البرهان في متشابه القرآن للكرماني ٢٨٤، باستبدال (قص) بـ(حكى).

وقرأ أبو عمرو في رواية[١] **(مُطْلِعونَ)** بإسكان الطاء وفتح النون**(فأُطْلِعَ)**، بضم الهمزة، وسكون الطاء، وكسر اللام، فعلا ماضيًا مبنيًا للمفعول.

وفي هذه القراءة تفسير لنسبة الاطلاع إليه، بأن ذلك من قبل الله تعالى مباشرة، أو الملائكة. ولا تخرج الفاء عن معناها.

وذكر الدكتور الخطيب في معجمه قول الفيروزآبادي معلقا على هذه القراءة: "على معنى: فهل أنتم فاعلون بي ذلك"[٢]

قلت: وهذا المعنى لا يكون إلا على قراءة كسر النون في (مُطْلِعُونِ) لا في فتحها.

وقرئ: **(مُطْلِعُونِ..فَأُطْلَعَ)**[٣]، مضارع مخفف منصوب على أنه جواب الاستفهام، وقد يكون فعلًا ماضيًا أيضًا بمنزلة "طلع"[٤].

وقد ضعفها كثير من النحاة – وعند الأزهري هي شاذة عند النحويين جميعًا– للجمع بين نون الجمع والإضافة، والوجه: مُطْلِعِيَّ مثل: مُخْرِجِيَّ.

ولابن جني (~) وجه مقبول، وهو تنزيل اسم الفاعل منزلة المضارع[٥].

وعندي أن كسر النون في (مُطْلِعُونِ) ككسر النون في باب سنة إذا جاءت ملحقة بجمع المذكر السالم مضافةً، كما في حديث النبي (ﷺ): ((اللهمَّ اجعلْها

---

(١) قال ابن مجاهد: "كلهم قرأ: **(مُطَّلِعُون.فَاطَّلَعَ)** إلا أن ابن حيان أخبرنا عن أبي هشام عن حسين الجعفي عن أبي عمرو أنه قرأ: **(مُطْلِعونَ.فأُطْلِعَ)**، فالألف مضمومة، والطاء ساكنة، واللام مكسورة، والعين مفتوحة"السبعة ٥٤٨.

(٢) ينظر: تاج العروس (طلع)، ويراجع: معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب ٢٩/٨.

(٣) ينظر: المحتسب لابن جني٢٢٠/٢.

(٤) معجم القراءات ٣٠/٨.

(٥) ينظر: المحتسب ٢٢٠/٢.

عليهم سنينًا كسنينِ يوسف))[1]، هذه الرواية بتنوين (سنينًا) الأولى، وإثبات النون مكسورة في (سنينِ) الثانية، مع أنَّها مضافةٌ، وهي المشهورة في كتب النحو[2]، ويستشهدون بها على إعراب باب (سنة) بالحركات، كالمفرد (غسلين)، وما أشبَهه، وهي لغةٌ نسبَها الفرَّاء[3] لتميم وأسد وعامر، على خِلافٍ بيْنهم في التنوين وعدمه.

أما رواية الحديث المشهورة في كتب الصِّحاح والمسانيد، فهي بفتح النون في (سنينَ) الأولى، وبحذفها للإضافة في (سنين) الثانية؛ أي: بإعرابها في الموضعين بالحروف إعرابَ جمع المذكر السالم.

وقد جاءت عدة شواهد على هذه اللغة، منها ما يأتي:

كقول الشاعر:

إِنّي أَبِيٌّ أَبِيٌّ ذُو مُحَافَظَةٍ... وَابْنُ أَبِيٍّ أَبِيٍّ مِنْ أَبِيّينِ[4]

وقول الآخر:

عرفنا جعفرًا وبني أبيه... وأنكرنا زعانف آخرينِ[1]

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، وأَبِي سلمة في عدَّة مواضعَ، وصحيح مسلم ٤٦٦/١ – ٤٦٧ (الحديث رقم ٦٧٥)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في عدة مواضع، منها موضع واحد، يُعَدُّ شاهدا على ما نحن فيه (٥٢١/٢ برقم ١٠٧٦٤)، وهو الذي وردتْ فيه الرواية المستشهد بها، بإثبات النون في (سنين) الثانية مع إضافتها، وقد ورد في نهاية الحديث نصٌّ من عبد الله بن أحمد بن حنبل يؤكِّد ذلك، وقد أخرج الحديث بهذه الرواية المستشهد بها – كما وردتْ عند أحمد – الدارقطنيُّ في سننه ٣٨/٢ (رقم ٧).

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل للألفية ٥٨/١، وحاشية الخضري ٤٥/١، وشرح المرادي للألفية ٩٧/١، وتعليق الفرائد ٢٤٨/١، والمقاصد للعيني ١٧٥/١، والصبان مع الأشموني ٨٧/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن ٩٢/٢.

(٤) البيت من بحر البسيط، وهو لذي الأصبع العدواني، من قصيدة طويلة له يعاتب فيها ابن عمه عمرو، وهي في المفضليات ١٥٨/١ (رقم ٢٩)، والبيت في المقتضب ٣٣٣/٣، والكامل ١٠٨/٢.

قد كُسِرت نونها للضرورة، أو على لُغة مَن يكسر مطلقًا، وليس للإعراب.

وقد علق الإمام الآلوسي على تخريجها بكلام طويل، ثم رجح توجيه ابن جني بقوله: "وحديث الحمل على الفعل.. أحسن ما قيل في التوجيه"(٢).

وقرئ: (مُطَّلِعونَ) مشدَّدًا (فأَطَّلَّعَ) بتشديد الطاء واللام، مضارعا منصوبًا جوابًا للاستفهام، وعلى هذه القراءة تكون الفاء واقعة في جواب الاستفهام المقصود منه العرْض، " ويكون المعنى:هل أنتم مطلعون؟ حتى أطلع أنا أيضا، فاطلعوا واطلع هو بعد ذلك، فرآه في سواء الجحيم"(٣).

ومعنى الترتيب مع التعقيب في قوله: (فرآه) ظاهر، أي: فاطلع فرآه ورأوه.

- **في قوله تعالى: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ}** [الصافات:٥٨].

الفاء فصيحة، والمتكلم هنا هو القائل من قبلُ مخاطبا رفاقَه: (فهل أنتم مطلعون)، فيكون عطفا على مقدر، أي: أنحن مخلدون فما نحن بميتين، والمراد بالاستفهام التقرير؛ وفيه معنى التعجب؛ ليكرروا له تلك الجملة ذاتها الدالة على تمام النعمة، وكمال النعيم (ما نحن بميتين) فما أحلى تذكرَ الخلود في جنة الخُلْد!!

ونلحظ أنَّ قوله (أفما) لم يرد إلا في هذا الموطن، إذ إنه لا يقال إلا هنالك، وهو تركيب فريد في مبناه ومعناه وجَرْسِه، ومتناسق الحروف والحدود مع السياق.

فتركيب همزة الاستفهام، مع الفاء العاطفة، و"ما" النافية- بناء متماسك يدل على اطمئنان نفس قائله، وعظيم اغتباطه وفرحه بحاله الذي هو فيه.

---

(١) البيت من الوافر، قائله جرير بن عطية بن الخطفي الكلبي اليربوعي التميمي، وانظر البيت في: ديوانه ٥٧٧، وضرائر ابن عصفور ٢١٩، وشرح التسهيل ٨٥/١، والرضي ١٧٩/٢، وتعليق الفرائد ٢١٧/١، وتخليص الشواهد ٧٢، وشرح الكافية الشافية ٢٠٠/١.

(٢) ينظر: روح المعاني٩٣/٢٣.

(٣) المرجع السابق ذاته.

وفتح الهمزة والفاء بالحركة القصيرة والميم بالفتحة الطويلة (الألف) يشير إلى حالة الراحة والانبساط والسكينة والطمأنينة التي غمرته في الجنة. اللهم اجعلنا وإياكم من أهلها، اللهم آمين!

فكأني به وقد وَضَعَ كِلْتا يَدَيْهِ على صَدْرِه، مُتحسِّسًا جسدَه، مستحضرًا حالَه ومآلَه، وحالَ قرينِه ومآلَه، متحدِّثًا عن نفسه ومن معه من رفقائه بضمير الجماعة (نحن) مغتبطا مسرورًا، وليس ثمةَ حروفٌ أو كلمات تعبر عن هذا الفرح وتلك السعادة بأحسن مما جاء به كلام الله تعالى.

وتسليط الاستفهام التقريري على المسند إليه (نحن) ولم يتسلط على المسند (بميتين) إشارة إلى تلبسهم بالنعيم، وشعورهم بفضل الله تعالى عليهم ومنته ورحمته، واصطفائهم واختصاصهم به من دون العالمين.

وفيه تعريض بحال القرين المشرك ونظرائه من الكافرين المعذبين الذين يتمنون الموت فلا ينالونه- والعياذ بالله تعالى!

فهناك بدائل في اللغة لهذه الجملة، كقولنا: ألسنا بميتين؟!، أو أنحن مخلدون؟!

ولا يفي شيءٌ منها بالمعنى المفهوم من الآية الكريمة، فضلًا عن مرادها الحقيقي الذي يحوم حوله العلماء، ولن يبلغوا كنهه.

- **وفي قوله تعالى: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ}** [الصافات:٦١].

يحتمل أن يكون هذا من كلام هذا القائل ورفقائه على تَجَوُّز، أو من كلام الله تعالى تعقيبا على القصة السابقة-وهو الراجح- لأن الآخرة ليست بدار عمل، وإنما هي دار جزاء، أي: "لمثل هذا ينبغي أن يعمل العاملون"[(١)]. "لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون، لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام"[(٢)].

(١) البحر المحيط ٣٤٧/٧.

(٢) تفسير أبي السعود ٤١١/٤.

والفاء –مع ما فيها من معنى التفريع على مضمون ما قبلها– تحمل معنى جواب الشرط للمشار إليه السابق، وهو قوله: (لِمِثْلِ هَذَا)، أي: من أراد أن يصل إلى مثل هذا النعيم فلْيعملْ، كما قال سبحانه: {**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**} [الكهف:١١٠]. ولم تدخل لام الأمر على مضارع (عمل) إلا في سورتي الكهف والصافات، وفيهما الحض على المسارعة إلى العمل المُوصِّل إلى السعادة الأبدية، وهو إسلام الوجه لله تعالى، والإيمان بالله واليوم الآخر.

كما أن في الفاء تقويةَ العظةِ وإرشادِ المخاطبين؛ ودخولها على لام الأمر الداخلة على المضارع يشير إلى استحضار صورة العاملين، وما هم فيه من النعيم المقيم، وفيه دعوة بليغة بالصوت والصورة إلى الاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم.

- **وفي قوله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ}** [الصافات:٦٦].

لما ذكر حال أهل الجنة من النعيم المقيم قابله بذكر حال أهل النار –والعياذ بالله– من العذاب الأليم، ومنه شجرة الزقوم وهي" شجرة صغيرة الورق، ذفرة، مُرَّة، كريهة الرائحة،... منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها،..أول ثمرها كأنه رؤوس الشياطين، في تناهي القبح والهول"(١).

ومعنى الفاء في قوله: (**فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا**) للتفريع على ما سبق من ذكر شجرة الزقوم المعَدَّة لأهل النار – والعياذ بالله– كما أن في الفاء رائحة التفسير لسبب ذكر الشجرة الملعونة، وذكر أوصافها وهو أنها طعام الأثيم.

(١) تفسير أبي السعود ٤/٤١٠.

ودخول هذه الفاء على حرف التوكيد يشربها معنى التقوية- والإكراه فرع منه، وهذا يقوي رأى من قال من المفسرين: إن أهل النار يُكْرَهُون على الأكل منها، "أو يُقْسرون على أكلها وإن كرهوها؛ ليكون بابا من العذاب"(١)، والعياذ بالله تعالى!

والفاء في قوله: **(فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُون)** للتعقيب"ولما كان الأكل يعتقبه ملء البطن كان العطف بالفاء"(٢).

وفيه إشارة إلى شدة إكراههم، وعظم جوعهم، فما إن يرون تلك الشجرة-مع ما فيها من قبح- حتى يسارعوا في الأكل منها قَسرًا؛ فتمتلئ به بطونهم، لا عن حُبٍّ للطعام، ولا عن شِبَعٍ، ولكنَّهم يُسارعون في أكلِها، كالمريض الذي يُلْقِي بالدواءِ المُرِّ الكريه في فيه بسرعة، ولا يكاد يُسِيغُه -نسأل الله العفو والعافية!

وبعد فقد رأينا في هذا الجزء من السورة أثر السياق في اصطفاء الفاء دون غيرها، وعلاقة معانيها بالحديث عن البعث، والرد على مزاعم المشركين.

وفيما يلي بيان دلالات الفاءات الواردة في قصص المنذرين في هذه السورة المباركة:

المبحث الثاني

دلالات الفاء في قَصص المنذِرين وعاقبةِ المنذَرين

وفي هذا الجزء وردت الفاء في تسعة وعشرين موضعًا على النحو الآتي:

- **في قوله تعالى: {فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُون}** [الصافات:٧٠].

(١) الكشاف للزمخشري ٣/٣٤٢.

(٢) البحر المحيط ٧/٣٤٩.

الفاء للتعقيب على ما قبلها من قوله: {**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّين**} [الصافات:٦٩] والإشارة إلى سرعة اقتفاء آثار الآباء من غير روية أو تفكير، ويؤكد هذه السرعة دلالة الفعل: (**يُهْرَعُون**)، والهَرِع: السريع المشي والبكاء[١]، حيث إن مادة(ه ر ع) تدل على "سرعة تسيب المائع"[٢]، يقال: رجل هَرِع- ككَتِف: سريعُ البكاء، ودمٌ هَرِع: جارٍ بَيِّنُ الهَرَع، وأهرع الرجل-بالبناء للمفعول- خف وأرعد من سرعة أو خوف أو حرص أو غضب أو حمى، والإهراع: إسراع في رعدة"[٣].

كما يؤَكِّدُ معنى السرعةِ في هَوَجٍ أن الفعل (هُرِعَ يُهْرَع) لم يرد في اللغة إلا مبنيًّا للمفعول، فكأنه يسرع، ولو لم يكن هناك سبب معروف، هكذا بلا ضابط ولا هدف.

وقد عبر الإمام أبو السعود (~) عن هذا المعنى أحسن تعبير بقوله: "(**يُهْرَعون**): من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أولا، مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل، والإهراع: الإسراع الشديد، كأنهم يُزْعَجون ويُحَثُّون حَثًّا على الإسراع على آثارهم، وقيل: هو إسراع فيه شبه رعدة"[٤].

- **وفي قوله تعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِين}** [الصافات:٧٣].

الفاء في قوله: (فانظر) للتفريع على ما سبق من قوله: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِين}[الصافات:٧١]، والأمر للنبي (ﷺ) ولكل مخاطب بهذا القرآن، والمراد بالنظر التعجيب والتهويل من حالهم.

- **وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُون}** [الصافات:٧٥].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (هرع)٦٥٢، تح/ مصطفى العدوي، مكتبة فياض.

(٢) المعجم الاشتقاقي (هرع) ٤/٢٣٠٠.

(٣) المرجع السابق ذاته.

(٤) تفسير أبي السعود٤ /٤١١.

الفاء في قوله: (فَلَنِعْمَ) للتفريع على ما قبله، أي: نادانا فأجبناه، فحذف المُفَرَّع لدلالة ما بعده عليه، لتضمنه معناه[1]، واللام داخلة على جواب قسم محذوف- أي: والله، ونعم: فعل مدح، وفاعله (المجيبون) وهو الله تعالى وحده، والجمع دليل العظمة والكبرياء، والمخصوص بالمدح محذوف، والتقدير: فو الله لنعم المجيبون نحن.[2]

ونلْحظ أن الفاء دخلت-هنا- على فعل المدح (فلنعم) ولم تدخل على فعل الإجابة كما في قوله تعالى: **{وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}** (الأنبياء/٧٦).

وذلك لاختلاف سياق الموضعين، مع اتفاقهما في الأغراض العامة للسور المكية، فكلتاهما مكية، فالسياق في سورة الأنبياء- يُجَلِّي قضيةَ ابتلاء الداعية ونصرةِ الله لأنبيائه ورسله، وسرعةِ استجابة دعائهم، لا سيما في وقت الشدة، كما ورد في السباق (الآيات السابقة) في ذكر إبراهيم، ولوط، وكما ورد في اللحاق (الآيات اللاحقة)، كما في ذكْر أيوب، وذي النون، وزكريا -عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

والسياق في سورة الصافات يركز أكثر على قضية الرد على مزاعم تتعلق بالذات العليَّة، فناسب ذلك مدحَ المدعو (ﷻ) واصطفى القرآنُ صفةَ المجيب لله تعالى لمناسبةِ الدعاء، واقتضى ذلك مدحَ الإجابة، وما أعظمها من إجابة، دعا نوح ربه: {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح:٢٦].
ولم يخطر على قلبه أن تجري سفينةٌ في صحراء، ولكن الله يفعل ما يشاء!

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/١٣٠بتصرف.
(٢) ينظر: الكشاف ٣/٣٤٣ بتصرف .

وخلاصة دلالة الفاء هنا أنها تشير إلى سرعة الإجابة وعظمها، كما أنها توحي بعلم الله الواسع، وقدرته التي لا تُحَدُّ، ورحمته التي تغمر الداعي، فتجعله يعجب ويندهش، فلا يملك سوى التسبيح بحمده-جل وعلا.

- **وفي قوله تعالى: {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِين}** [الصافات:٨٧].

الفاء للتفريع على الاستفهام الإنكاري قبله[١]، وهو قوله: **{أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُون}** [الصافات:٨٦]، وهو استفهام إنكاري مثله، لعلهم يتدبرون ما هم عليه من خطأ، فيفيئون إلى الحق، وتعاقب هذا النوع من الاستفهام في آيتين قصيرتين ليشير إلى شدة غضب إبراهيم (عليه السلام) وحرصه على دعوة قومه.

- **وفي قوله تعالى: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوم}** [الصافات:٨٨].

"مفرع على جملة **{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُون}** [الصافات:٨٥]، والمقصود من هذه الجمل المتعاطفة بالفاءات هو الإفضاء إلى قوله: **{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ}** (الصافات/٩١)، وأما ما قبلها فتمهيد لها وبيان كيفية تمكنه من أصنامهم وكسرها؛ ليظهر لعبدتها عجزها"[٢].

وبعيدًا عن خلاف المفسرين حول معنى (فنظر نظرة في النجوم)، فإن مآل معناه إلى أنه (عليه السلام) تفكر في حيلة؛ حتى لا يخرج معهم إلى عيدهم؛ وليخلو بأصنامهم ليُنَفِّذَ ما أراد.

وتشير الفاء هنا إلى سرعة بديهة سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، فهو أبو الأنبياء، الذي قال الله فيه: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِين}** [الأنبياء:٥١].

- **وفي قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيم}** [الصافات:٨٩].

والفاء في (فقال) للتفريع على (فنظر)، فليس ثمة زمن بين النظر والقول، وفيه إشارة إلى تقدم النظر على القول، وهو من كمال الرشد، وقد قيل: لِسَانُ الْعَاقِلِ

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٣٩/٢٣.

(٢) المرجع السابق ١٤١/٢٣.

وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ[1]، وهذا في عموم الكلام، فكيف والحالة هذه التي تستدعي سرعة البديهة، مع حكمة القرار؟!

- **وفي قوله تعالى: {فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ}** [الصافات:٩٠].

ويبدو من التعقيب بالفاء أن قوله لهم: إِنِّي سَقِيم، كان مُقنعًا، بحيث إنهم فارقوه جميعًا مسرعين إلى ما أرادوا، ولا نريد أن ندخل في اختلافات المفسرين عن سبب توليهم من هذا القول، ولا نقبل القول بأن سقمه (عليه السلام) كان بسبب الطاعون، أو نَوبةٍ تعتريه، فخافوا من العدوى، كما حكاه أبو السعود وغيرهما[2]، فهذا مما لا يليق بالأنبياء، فضلًا عن أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم (عليه السلام)!

- **وفي قوله تعالى: {فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ}** [الصافات:٩١].

هنا فاءان، في قوله: (فراغ)، و(فقال)، ومعنى راغ: أي أَوْسَعَ الخَطْوَ وَأَسْرَعَ، من قولهم: "فرسٌ فرَيغ: واسعُ العَدْو، كأنَّما يُفْرِغُ العَدْو إِفْرَاغًا"[3] والفاء فيهما للترتيب والتعقيب، فما لبث أن تولوا عنه حتى أسرع إلى مراده، وكلمة (فَرَاغَ) بصوتها وهمسها تدل على ذهابه في خفية وسرعة، وعدم انشغال بشيء سوى ذلك، كما أن دلالة مادة (ف ر غ) على خلاءٍ مِمَّا يَشْغَلُ[4]؛ فيَسْهُل انصبابُه أو اندفاعُه.

- **وفي قوله تعالى: {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}** [الصافات:٩٣].

---

(١) وهو من كلام سيدنا عليّ (رضي الله عنه)، ينظر: نهج البلاغة للشريف الرضي٤/٤١٤، تح/ الإمام محمد عبده، ط/دار الكتب العلمية، لسنة١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) ينظر: الكشاف٣ /٣٤٤، تفسير أبي السعود٤/٤١٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (فرغ) ٤٧٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق ذاته باختصار.

والفاء للتعقيب، وكرر الفعل ذاته (فراغ) كأنه انتقل بقالبه ومحتواه من مشهده قبل ذهابه إلى الأصنام إلى مشهد تحطيمه الأصنام من غير فاصل زمني، كأنه ما إن انتهى من حديثه مع القوم حتى أُهْرِعَ إلى مبتغاه.

وتعدي الفعل (راغ) بـ(على) يعطيه معنى الميل من عُلوٍّ، أي: "فمال مستعليًا عليهم"(١).

- **قوله تعالى: {فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّون}** [الصافات:٩٤].

الفاء في قوله: (فَأَقْبَلُوا) للتعقيب النسبي(٢)، ولا شك أنَّ ثمةَ زمنًا ما بين تحطيم إبراهيم الأصنام وإقبالِ القوم إليه، وقد أشارت آيات سورة الأنبياء إلى ذلك بالتفصيل من قوله تعالى: **{قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِين. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيم}** إلى قوله: **{وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِين}** [الأنبياء:٧٠-٥٩] وهذا التفصيل يناسب السياق هناك؛ لتعلقها بالمحاكمة التي أجريت من قبلهم تُجاه الخليل (عليه السلام) وبيان مآلها أمام حكم الله تعالى ناصر رسله، ومولى أوليائه المؤمنين، ومدار سورة الأنبياء على ذلك، من مطلع السورة:**{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُون}**[الأنبياء:١]، إلى منتهاها: **{قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون}** [الأنبياء:١١٢].

ولما كان من أهم أهداف سورة الصافات بيان عاقبة المنذَرين[بفتح الذال]، أفضى السياق إلى نتيجة المؤامرة التي حيكت للخليل إبراهيم (عليه السلام) وكيفية إنجاء الله له.

فطوى تعقيبُ (الفاء) هذا الزمنَ بينَ فعل إبراهيم وإقبالِهم؛ للخُلوص إلى تلك النتيجة.

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/٤١٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/١٤٤.

السياق واصطفاء الكلمات:

كلمات الآية الكريمة تدل على إسراع القوم جميعًا إلى إبراهيم وحده، وقصدِهم إياه من شدة غضبهم وعظيم غيظهم.

فالإقبال في قوله: (فأقبلوا) يدل على توحيد القصد والاتجاه واختصار الطريق إليه، والقيد بالجار والمجرور(إليه) لتأكيد جهة الإقبال إذا تعلق بما قبله، أو لقَصْر الإسراع من أجله إن تعلق بما بعده.

دلالة (يزفون) على الإسراع، وما ورد فيها من قراءات:

- قوله (يَزِفُّون) قراءة الجمهور بالتشديد والكسر مع فتح الياء[١]، أي: "يُسْرعون، من زَفِيف النعام[٢]، والزَفِيفُ هو سرعةُ المشي مع تقاربِ الخَطْو[٣].
- وقرأ حمزة وجماعة: (يُزِفُّون) من أَزَفَّ[٤]، أي: دخل في الزفيف، أو من أزَفَّه إذا حمله على الزَفيف، أي: يُزِفُّ بعضُهم بعضًا..والمعنى المحوري: تَحَرُّكٌ جَمْعِيّ، في خِفَّةٍ مع صوتٍ ما[٥]. وقد أضافت هذه القراءة معنى التكثير، وشيئًا من زمجرتهم وزفراتهم وقرع نعالهم.

(١) ينظر: التيسير ١٨٦، والسبعة ٥٤٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٣٤٥/٣. وقيل: من زفاف العروس، وهو التمهل في المشية؛ إذ كانوا في طمأنينة أن ينال أصنامهم شيء لعزتهم، قاله الأصمعي، كما في البحر ٣٦٦/٧. والله أعلم.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي (زفف) ٩٠٢/٢.

(٤) وهي قراءة مجاهد وابن وثاب والأعمش ورواية المفضل عن عاصم، كما في معاني الفراء ٣٨٨/٢-٣٨٩.

(٥) وهي قراءة مجاهد وابن وثاب والأعمش ورواية المفضل عن عاصم، كما في معاني الفراء ٣٨٨/٢-٣٨٩.

• وقرئ: يَزِفُون، بفتح الياء وتخفيف الفاء، مضارع: وَزَف، إذا أسرع، مثل: وعد.(١)

وقد ضبطها مُحَقِّقَا مُعجمِ العين(٢) بسكون الزاي، كذا: (يَزْفُون) في مادة (وزف) والصواب كسر الزاي، (يَزِفُون) مثل: يَقِفون، ويَعِدون، ويَجِلُون، وأما القراءة بسكون الزاي فسيأتي الكلام عليها مفصَّلًا.

قال الشهاب: "وكون (وزف) بمعنى أسرع أثبته الثقات، فلا يلتفت لمن أنكره"(٣).

ويُشْتَمُّ من تخفيف الفاء (لام الكلمة) معنى الإسراع الجماعي المتفق عليه، دون تردد، فكأن سهولة الكلمة، تدل على طواعية الفعل وجريانه دون عوائق.

مع ملاحظة الفرق بين (زفَّ) و(وَزَفَ)، فكلاهما على وزن (فَعَلَ يَفْعِل كضَرَبَ يَضْرِب) ولكنهما مختلفا المادة، فالأول صحيح (مضعف، فعَيْنُه ولامُه فاء)، والآخر معتلُّ الفاء (مثال واوي)، فمضارع زَفَّ يَزِفُّ، على وزن فَعَل يَفْعِل، وأصله يَزْفِف، ومضارع الآخر يَزِفُ بالتخفيف، وأصله يَوْزِفُ، مثل يَعِد ويَقِف، فأصلُهما يَوْعِد ويَوْقِف، فوقعت الواوُ ساكنةً بينَ عَدُوَّتَيها (الفتحة والكسرة)، فحذفت.

ومجيئ هذه القراءة بهذه المادة الجديدة (وزف) يؤكد معنى الإسراع في المشي، وقد وردت في لسان العرب بهذا المعنى وحده(٤).

---

(١) ينظر: التبيان للعكبري٢/٣٠٤، وفي البحر المحيط: (٣٦٦/٧) مضارع زفّ، ولعله تحريف.

(٢) هما العالمان الجليلان الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ينظر: العين (وزف) ٣٨٩/٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣) ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي ٢٧٧/٧.

(٤) جاء في اللسان: وزف البعير وغيره وزفا ووزيفا: أسرع في المشي، ينظر: اللسان (وزف)٢٨٨/١٥.

• **وقرئ:** يُزَفُّون، بضم الياء وفتح الزاي وضم الفاء مشددة- بالبناء للمفعول[١]، أي: يحملون على الزفيف[٢].

• **وقرئ:** يَزْفُون-بفتح الياء، وسكون الزاي، وهي مادة أخرى غير (زف ف) و(و ز ف)، إنها من (ز ف ي)، وقد علق الزمخشري عليها بقوله: " من زفاه إذا حداه، كأن بعضهم يزفو بعضًا، لتسارعهم إليه[٣].

وهو توجيه سديد، وموفق، غير أنني لا أوافقه على أن لام الفعل واو (يزفو)، وأرى أنها ياء، ولعلها تحريف من الناسخ، وقد نقلها أبو السُّعود[٤] وغيرُه -وجَلَّ من لَّا يَسْهُو- وقد أوردها الخليلُ في معجم العين هكذا، فقال:" الريح **تَزْفِي** الغُبارَ والتُّرَابَ، والسَّحابَ، وكلَّ شيء، إذا طردتْه، ورفعتْه على وجه الأرض، كما **تَزْفِي** الأمواجُ السفينةَ، و**الزفَيان:** شدةُ هبوب الريح؛ لأنها تَزْفي كلَّ شيء تمرُّ به، وتسوقه معها"[٥].

• **وقرئ:** (يَزُفُّون) بفتح الياء، وضم الزاي والفاء مشددا، من "زَفَّ يَزُفُّ.[٦]، وهو- عند العكبري- في معنى المكسور[٧]، فهما لغتان[٨].

---

(١) قراءة شاذة، نسبت إلى الأعمش، كما في الكشاف ٣٤٥/٣، والبحر المحيط ٣٦٦/٧.

(٢) ينظر: الدر المصون ٥٠٨/٥.

(٣) قراءة شاذة، نسبت إلى أبي نهيك وابن أبي عبلة، كما في الكشاف ٣٤٥/٣، والبحر المحيط٣٦٦/٧.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٤١٤/٤.

(٥) العين للخليل بن أحمد (زفي) ٣٩٠/٧.

(٦) قراءة شاذة، من دون نسبة في إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٣٨٢/٢.

(٧) ينظر السابق ذاته، وفيه: "ويجوز أن يكون المعنى في قولك: زف العروس يزفها، أي: يبعثها إلى زوجها، أي: يزفون أنفسهم إليه" ولا أميل إليه.

(٨) ينظر: التبيان للعكبري ٣٠٢/٢.

وأرى أن مضموم الزاي (يَزُفُّون) أكثر استعمالًا في زفّ العروس، من قولك: زف العروس يزُفُّها، أي: يبعثها إلى زوجها، على جهة الاستعارة.

يقول الراغب: "واستعارة ما يقتضي السرعة، لا لأجل مشيتها، ولكن للذهاب بها على خفة وسرور"(١).

وتعليق الراغب هنا- مهم جدًا؛ لأن حقيقة الفعل تدل على السرعة، واستعماله في زف العروس لا يدل عليها إذا لاحظنا مِشْيتها.

فرفع هذا الإيهام بأن الاستعارة هنا من أجل الخفة، وهي مما تستلزمه السرعة، وأضاف إليها معنى السرور، لمناسبة العرس، فلله درك يا إمام!

- **وقيل قرئ:** (يَزْفُون) بفتح الياء، وسكون الراء المهملة(٢)، ووجهها الشوكاني بقوله: وهو ركض بين المشي والعدو(٣)، وقيل: من رفيف النعام، وهو ركض بين المشي والطيران(٤).

قلت: ولولا نسبة هذه القراءة الشاذة إلى ثلاثة من الأئمة، وهو (الحسن ومجاهد وابن السميفع) لظننا أنها مُصَحَّفة من قراءة (يَزْفُون) بالزاي المعجمة، وقد سبق نسبتها إلى إمامين آخرين، هما(أبو نهيك وابن أبي عبلة)، فلاتَ حين مناص من التسليم بها، وتوجيهها، والله الموفق للصواب.

وتوجيهها بالعدو في خيلاء أولى؛ وذلك من قولهم: رفَّ يَرِفُّ: إذ بَرِح وتَخَيّل، ورفَّ النباتُ يرِفُّ رفيفًا إذا اهتزَّ وتنعم(٥).

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (زف) ٢٧٩.

(٢) ذكرها الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميفع، بالراء المهملة، ينظر: ينظر: القرطبي ٩٦/١٥.

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٤٠٢/٤.

(٤) ينظر: معجم القراءات ٤٢/٨.

(٥) ينظر: اللسان (رفف)٢٧١/٥.

وأما رفيف النعام فلم تذكره المعاجم إلا بالزاي المعجمة(١).

- **وفي قوله تعالى: {قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ}** [الصافات:٩٧].

الفاء في قوله: (فَأَلْقُوهُ) للتفريع على (ابنوا) السابق، وهو من جملة القول، وهي مع إفادتها التعقيب– تفيد أنهم يريدون التخلص منه بأقصى سرعة، فلا يكون ثمةَ زمن بين بنائهم هذا البنيان وإلقائه في النار، وهذا، البنيان من صنعهم(٢)، قد خصصوه له، ليلقوه من عُلُوٍّ، فيسقطَ في قاع نارهم، وهذا –مع كونه عذابًا– فيه إهانة عظيمة، وأنَّى لعبدٍ أن يهان، وهو خليل الرحمن؟!

- **وفي قوله تعالى: {فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ}** [الصافات:٩٨].

هنا فاءان، وهما للتعقيب، في قوله: (فَأَرَادُوا)، وقوله: (فَجَعَلْنَاهُمُ)، فالفاء في قوله: (فَأَرَادُوا) فيها معنى التفسير لفعلهم به (عليه السلام) ولم تدخل على فعل (أرادوا) بواو الجماعة إلا في هذا الموطن، وقد جاء في سورة الأنبياء بالواو العاطفة، في قوله: (وأرادوا) لاختلاف السياق، إذا إنها جاءت هناك بالواو–مجاراة لطبيعة المحاكمة، ولم يدخل حكمُهم بعدُ في حيز التنفيذ– ردًّا على قولهم: "**{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}** [الأنبياء:٦٨–٧٠]، فجاءت الواو في ختام المحاكمة إعلانًا بأن الحكم لله تعالى، والكلمة الأخيرة له سبحانه لا لهم، ولذا كان

(١) ينظر مادة(رف ف) في لسان العرب مثلًا: ٥/٢٧١–٢٧٣، وأما قولهم: الرَّفْراف: الظليم، يرفرف بجناحيه، ثم يعدو، فإنه من المضعف (رفرف).

(٢) الفرق بين البناء والبنيان في القرآن أن الأول من خلق الله تعالى للسماء خاصة، والآخر من صنع الناس على الأرض، حقيقة أو مجازًا، ينظر: أثر السياق في اصطفاء أحد المصادر المتعددة للفعل الواحد في القرآن الكريم، للدكتور نصر سعيد، ص١٨٢–١٨٦، مجلة كلية القرآن الكريم، العدد الرابع، لسنة١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

التذييل موافقا لسياق الآيات، ومعبرًا عن نهاية المحاكمة (فجعلناهم الأخسرين)، واستحقوا صفة (أفعل)؛ من وجهين:

لأنهم أرادوا نصر آلهتهم المزعومة، ولو أنهم رجعوا إلى أنفسهم لعلموا أنهم في غاية الضلال؛ إذ كيف يعدونها آلهة، وهي عاجزة عن دفع الضر عن نفسها.

والوجه الآخر: لمناسبة صيغة (التفعيل) في (حَرِّقوه) الدالة على مضاعفة الحرق، فناسبه مضاعفة الخسران، فالجزاء من جنس العمل.

ولم يذكر قولهم (ابنوا له بنيانا) إلا في الصافات، وذلك لانفرادها بذكر الشروع في تنفيذ حكمهم بتحريقه، (وهو بناء ذلك البنيان وإلقاؤه من أعلاه في النار) فدخول الفاء على فعل الإرادة هنا يوحي بأن ثمة معطوفا عليه محذوفًا يدل على شروعهم في التنفيذ،

ولما كان الغرض من هذا البنيان إعلان إهانته والتشهير بإذلاله، ردعًا لِمَنْ خَلْفَه، أعقب ذكر إرادتهم السيئة بذكر عقوبتهم –في الدنيا والآخرة– فقال: (فَجَعَلْنَاهُمُ)، وكان الجزاء من جنس العمل، فقال (الأسفلين)، وهو أشد من السافلين، لمناسبة المبالغة في البناء المفهوم من لفظ (بنيان) ولمناسبة كيدهم، والإذلال والإهانة المفهومين من بنائهم البنيان وإلقائه من أعلاه ليقع في قاعه.

وقد عدَّ هؤلاء محاجةَ إبراهيم الخليل لهم، وانتصارَه عليهم بالبراهين الساطعة– إذلالًا لهم أي إذلال، وإهانة أي إهانة.

فيا ليتهم اكتفَوا بإهانتهم الأولى–عندما أقام إبراهيم عليه الحجة والبرهان، فلم يقدروا على مجاراته في الحوار، ولكنهم أهينوا أعظم إهانة، بعد ما نجَّاه الله من نارهم، فأرادوا بكيدهم السيئ أن يستروا عوراتهم، ويحفظوا ماء وجههم أمام الناس، **(فأرادوا به كيدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِين)**.

ولما كان مشهد المحاكمة حاضرًا هناك في سورة الأنبياء، ولابد لأي متهم في قضية من حكم، وقد أرادوا نُصْرة آلهتهم المزعومة كان لفظ (الأخسرين) أنسب للسياق في الأنبياء، كما كان لفظ (الأسفلين) أنسب للسياق في سورة الصافات.

- **وفي قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}** [الصافات:١٠١].

وهذه فاء البشرى للتعقيب من أدلّ أنواع الفاءات على فورية التعقيب، فإنها وقعت بعد دعاء الخليل (عليه السلام) **{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}** [الصافات:١٠٠]، والتعقيب هنا للبشرى باستجابة الدعاء، وأما حصول الإجابة، فقد يكون موافقًا للبشرى، وقد يتأخر، وهذا لا يطعن في معنى التعقيب.

- **وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}** [الصافات:١٠٢].

وهنا فاءان، في قوله: (فلما) وقوله: (فانظر):

- فأما الفاء الداخلة على (لما) الحينية فهي فصيحة، مُعْرِبَةٌ عن معطوف عليه محذوفٍ، أي: فوهبنا له، فنشأ، فلمَّا بلغَ رتبةَ أن يسعَى معَه في أشغالِه وحوائجِه قال.. [(١)]. وهذا إيجاز وإعجاز.

ولقد حاولت – مجتهدًا– النظر في فائدة دخول الفاء على (لمَّا) هنا وفي كثير من آيات الذكر الحكيم، فوقفت على أربعة أمور:

- **الأمر الأول:** تدخل الفاء على (لمَّا الحينية الظرفية) فتشير –غالبًا– إلى أمر جسيم، يُفهم من مجموع جملتي الشرط والجواب، وقد دخلت هنا لتوحي بأمرٍ عظيمٍ يَحْدُثُ في هذا الوقتِ المقيد بفعل الشرط (بلوغ السعي) وجوابه (قال يا بني...).

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/٤١٥.

• **الأمر الثاني:** تأتي (فلما) لتشير إلى اختلاف المشهد اللاحق عن المشهد السابق؛ فهي تحملك على بساطها الرقيق بهوائها اليسير، وهمسها المعروف، وجَرْسِها الهادئ اللطيف، وزمن خرجها السريع الخفيف- وتنقلك من هنالك إلى هنا دون أن تشعر بشيء من التغيير أو الاختلاف، إلا أنك تفاجأ بالموطن الجديد، وكأنك أحد الحاضرين فيه، تعيش مع الأحداث قلبًا وقالَبًا. فسبحان من هذا كلامه!

• **الأمر الثالث:** الإشارة إلى طيّ الزمان، وسرعة انقضاء الوقت، فكأن السنين سِنَة [بكسر السين] من أول البشارة به إلى بلوغه السعي.

• **والأمر الرابع:** الدلالة إلى تعلُّق القلب بأمر الله، والحرص على تنفيذه، فتلاشى عِظَمُ الموهوب أمام أمر الواهب؛ فلم ينظر الخليل إلى تعلُّق قلبِه بولده، وذكرياتِه معه، وشوقِه إليه، و..و..إلخ، ولكنه جعل أمرَ الله نُصْبَ عَينيه، فانصَهرتْ سِنُو عمرِه، وذهبتْ أيامُه فَوْرَ مجيئ أمرِه، وصَعِدَتْ ذكرى الغلام مع رؤيا الذبح في المنام.

وهذه إحدى وسائل ربط القلب، وشد الأزر، وثبات النفس- أن يتمثل المصاب عظمةَ الوهاب، وأنَّ من دلائل حبِّك المُنعمَ إيثارَه على نفسك بالنعمة.

• وأما فاء (فانظر) فإنها تفريع على ما قبلها[1]، وهو قوله:(إني أرى في المنام أني أذبحك)، وقد ذكر المفسرون فائدة قوله لولده: (انظر) ليرى رأيه مع أن ما رآه في المنام كان وحيًا من عند الله، لا رأي لأحدٍ فيه؟ بأنه شاوره فيه "ليعلم ما عنده

(١) وأجاز الطاهر ابن عاشور جعلها فصيحة، أي: إذا علمت هذا فانظر، وأرى في تكلفًا؛ فما عرضه من قوله: **(إني أرى في المنام..إلخ)** يكفي لإعلامه، ولا يحتاج إلى تقدير شرط.

فيما نزل من بلاء الله تعالى، فيثبت قدمه إن جزع،.. وليوطن نفسه عليه، فيهون، ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله"[١].

- **وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}** [الصافات:١٠٣].

الفاء لعطف جملة على جملة، تعقيبًا وترتيبًا، و(لما) تستلزم فعلا لها وجوابًا، ففعلها (أسلما) وجوابها فيه خلاف سيأتي ذكره.

وقد نقلتنا (فلما) من مشهد نظري وهو (الرؤيا وعرضها على ولده)، ليرى رأيه، إلى مشهد عملي، وهو (تنفيذ الرؤيا على الوجه المرئي)، ونلحظ دخول (فلما) على أمرٍ عظيم، وهو استسلام كلٍ من الخليل والذبيح لأمر الله تعالى، والشروع في الذبح، ونزول النداء قبل الفداء.

وقد جاءت قراءتان أخريان، ولكنهما شاذتان توضحان وتقويان معنى القراءة المتواترة، الأولى: (استسلما) قرأ بها ابن عباس (ﷺ).[٢]

والأخرى: (سلَّما) أي: فوضا إلى الله في قضائه وقدره.[٣]

معنى (تله) أي: صَرَعه، وكل شيء ألقيتَه إلى الأرض مما له جُثَّة فقد تلَلْتَه[٤].

وهو فعل ماضٍ من تلَّ يَتُلُّ تلًّا، فهو مَتلول وتَلِيل –بضم عين المضارع من باب نصَر ينصُر، بمعنى: صرَعه، وقيل ألقاه على عنقه وخده، والأول أَعلى، وبكسر العين (تلَّ يَتِلُّ) من باب ضرَب يضرِب، بمعنى: تَصَرَّع وسَقط[٥].

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/٤١٦.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/٣٤٨.

(٣) ينظر: المحتسب ٢/٢٢٢.

(٤) ينظر: لسان العرب (تلل) ٢/٤٥.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ١٥/١٠٥بتصرف يسير.

ويقول السَّرَقُسْطِيّ: "تلَّ تَلالًا وتَلالةً مثل: ضلَّ (أي: في التصريف، يقال: ضل ضلالًا وضلالةً)، "وتَلَّه لِلْجَبِين" تُلُولًا وتَلًا: أَصْجَعه"(١)

والتلُّ من التراب والرمل: كَوْمَة منه...والرابية من التراب مكبوساً ليس خِلْقَةً، والتَّلَّة: الصَّبَّة.

والتلُ: صبُّ الحبل في البئر عند الاستقاء...وتلَّ جبينُه يَتِلُّ تلًّا: رشَح بالعَرق.

قال أبو الحسن: يقال: إن جبينه ليتِلُّ أشَدّ التَلِّ، وحكى: ما هذه التِّلَّة بِفيك؟ أي: البِلَّة.

وسئل عن ذلك أبو السَّميْدَع فقال: التَّل والبَلَلُ والتِّلَّة والبِلَّة شيء واحد(٢)

أين جواب "لما"؟ وما علاقته بدلالة الفاء؟

اختلفوا في جواب لمَّا على قولين: فمنهم من قال إنه محذوف، ومنهم من قال إنه مثبت، والقائلون بحذفه مختلفون في موقعه في الكلام، وقد جمع ذلك كلَّه شيخُنا الآلوسي (~) وابتدأ بالراجح على النحو الآتي:

(١) ينظر: كتاب الأفعال لأبي عثمان السرقسطي٣/٣٥٥، تح/ حسين محمد شرف، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٧٨م.

(٢) ينظر: لسان العرب (تلل) ٢/٤٥ وما بعدها باختصار.

أولا: القول بأن الجواب محذوف:

١- "**جواب "لما" محذوف، مقدر بعد (صدقت الرؤيا)، أي:** كان ما كان مما تنطق به الحال، ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله، والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله، وإظهار فضلهما مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك.

قلتُ: وعليه يحمل قول من قال بالحذف، دون أن يحدد موقعه، كقول مكي:" وجملة جواب لما محذوف، تقديره: فلما أسلما رُحِما أو سُعِدا"(١)، وقول العُكبَري:"جوابها محذوف، تقديره: نادته الملائكة، أو ظهر فضلهما"(٢).

٢-**وقدره بعض البصريين بعد (وتله للجبين)، أي:** أجزلنا أجرهما.

٣- **وعن الخليل وسيبويه تقديره قبل (وتله)، قال في البحر:** والتقدير: فلما أسلما أسلما وتله، وقال ابن عطية: وهو عندهم كقول امرئ القيس: [فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى]، أي أجزنا وانتحى، وهو كما ترى.

٤- **رجح الطاهر بن عاشور كونه محذوفا دل عليه قوله:** (وناديناه)، قال: "وإنما جيء به في صورة العطف إيثارًا لما في ذلك من معنى القصة، على أن يكون جوابا؛ لأن الدلالة على الجواب تحصل بعطف بعض القصة دون العكس، وحذف الجواب في مثل هذا كثير في القرآن، وهو من أساليبه، ومثله قوله تعالى: **{فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون. وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُون}** [يوسف:١٥-١٦]"(٣).

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٦١٧/٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٣٠٤/٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، المجلد التاسع ١٥٥/٢٣.

ثانيا: القول بأن الجواب مُثبت:

١-**قال الكوفيون:** الجواب مثبت وهو (وناديناه) على زيادة الواو، وقد فصل الفراء ذلك وهو من أشهر الكوفيين بقوله: " وجوابها في قوله:(وناديناه)، والعرب تُدخل الواو في جواب "فلما" (وحتى إذا) وتُلْقيَها، فمن ذلك قول الله: (حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)، وفي موضع آخر (وفتحت)، وكلٌ صواب، وفي قراءة عبد الله:(فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية)"[١]، والحقيقة أن كلام الفراء-مع جلالة قدره- فيه نظر، ليس هذا محله.

٢-**وقالت فرقة:** هو و(تله) على زيادتها أيضا"[٢].

واعترض النحاس على قول الكوفيين بزيادة الواو؛ لأنها من حروف المعاني، ولا يجوز أن تزاد[٣].

وقول الطاهر أقرب إلى الصواب؛ لأنه جامع بين قولي البصريين بالحذف والكوفيين بالإثبات، فالواو عنده عاطفة داخلة على ما دل على الجواب، وليس بجواب، ولأن تحديد قوله: (وناديناه) ليكون دالا على الجواب أولى من غيره؛ لموافقة منطوق الآية ومفهومها، وتظهر ثمرة الخلاف في أمرين:

أولهما: عظم الجواب المترتب على الشرط.

والآخر: دلالة العطف على الشرط دون الجواب، ودلالة العطف على الجواب.

وهذا الفعل (تلَّه) يقاربه في معناه عدة أفعال، نحو (كبَّه، وصرفه، وقلَبه، وصرَعه، وألقاه، وأسقطه) ولكنه يمتاز عنها بما يأتي:

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٠.

(٢) ينظر: روح المعاني ٢٣/١٣١.

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٤/٥٠١، ٥٠٢، بتصرف يسير.

أولا: يصور بأحرفه وجَرْسِه كيفيةَ الاستسلام التامّ من الخليل والذبيح؛ حيث إنَّ مبدأَ الكلمة تاءٌ مهموسةٌ مهتوتة، تشير إلى ضغطٍ ضعيفٍ، يصف حالةَ السائق والمسوق من شدة التسليم لقضاء الله تعالى، فلا ترددَ ولا جدالَ، كما أنَّ اللامَ المشددةَ لَتُصَوِّرُ حالَ الغُلام من السكون والهدوء والطمأنينة والرضا.

ثانيا: مشتق من التلِّ، وهو التراب المجتمع مكبوسًا ليس خِلْقَةً، (ففيه نوع رطوبة)، كما أن اشتقاق الفعل من اسم العين (التلّ) إشارة على إلصاقه به، وكأن إبراهيم (عليه السلام) يضع ولده على التلِّ من غير رمي ولا إسقاط، مستسلما كلاهما غاية الاستسلام.

ثالثا: جميع الأفعال المقاربة في المعنى لهذا الفعل تدل على الانحطاط والانحدار والتسفل والسقوط، في حين يدل (تلَّه) على المرتفع العالي؛ لإظهار ذلك وإعلانه، وبيان أمر الله فيه وتبليغه.

رابعًا: جميع الأفعال الأخرى المقاربة له في المعنى تدل على العنف من الفاعل، وإكراه المفعول ومغالبته، ولذلك فإنها تتعدى بـ "على"، وهذا لا يناسب السباق ولا اللحاق، فسياق الآيات يصور استسلام إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، وعظيم رضاهما بأمر الله تعالى.

كما أن تعدي الفعل (تلَّه) باللام يدل على إلصاق جبينه بالتل، فهي لبيان ما خر عليه، والجبين أحد جانبي الجبهة، وهذه الصورة التي عليها الذبيح هي التي رآها إبراهيم في رؤياه، ولذلك قال الله له: **{وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين}** [الصافات:١٠٥، ١٠٤].

وقد ذهب بعضهم[1] إلى أن اللام بمعنى "على" كقوله: (يخرون للأذقان سجدا)، وأرى بقاءها على معنى البيان، فاللام في قوله: (للجبين) لبيان جهة

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٥٣/٢٣.

إضجاعه، ولا مانع من كونها بمعنى "على" ولا يخرجها هذا مما ذكرناه، فيبقى سرها في لطف تعلقها بمجرورها، وكأنه صار جزءًا من الفعل قبله، فالبون شاسع بين من صرعه على التلِّ، ومَن تلَّه للجبين!

وإفراد الجبين– مع أن لكل إنسان جَبِينَيْنِ يتوسَطُهُما جَبْهَته– لإفادة أن الذبيح كان مختارا عند تَلِّه، ولم يقيِّدْ رأسُه، كأن توضع جبهته مكِبّا على وجهه بين حَجرين مثلًا، ولأن الغرض من ذكر الجبين لازم معناه وهو ذبحه من الجهة الأخرى.

موقف المفسرين من معنى (تله):

يذهب جمهور المفسرين إلى تفسير (تَلَّه) بـ (صرعه)، اعتمادًا على ما ذكره اللغويون في معاجمهم(١)، وما ذكره السابقون من آثار تدل على تصوير مشهد الإقدام على تنفيذ الخليل أمر الله تعالى، من نحو ما ذكره ابن كثير في ذلك، حيث قال: "أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهدَ وجهه عند ذبحه؛ ليكونَ أهون"(٢).

وما ذكره الآلوسي من قوله: "صرعه على شقه، فوقع جبينه على الأرض،...وقيل المراد: كبَّه على وجهه، وكان ذلك بإشارة منه، أخرج غير واحد عن مجاهد أنه قال لأبيه: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي؛عسى أن ترحمني؛ فلا تجهز علي، اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي للأرض، ففعل، فكان ما كان، ولا يخفى أن إرادة ذلك من الآية بعيد، نعم، لا يبعد أن يكون الذبيح قال هذا"(٣).

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (تلل)، واللسان (تلل).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير.

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي١٣٠/٢٣وفيه: "وفي الآثار حكاية أقوال غير ذلك أيضا، منها ما في خبر للسُدِّيّ أنه قال لأبيه (عليه السلام): يا أبت اشدد رباطي؛ حتى لا اضطرب،= =واكفف عني ثيابك، حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فتراه أمي فتحزن، وأسرع مر السكين على حلقي، فيكون أهون للموت علي، فإذا أتيت أمي فاقرأ (h) مني، فأقبل إبراهيم

والراجح في دلالة الفعل هنا ما ذكره السَّرَقُسْطي آنفاً، وهو تفسيره بـ(أضجعه) لمناسبته مقامَ الخليل وصفاته المذكورة في القرآن من نحو قوله تعالى: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيب}** [هود:٧٥]، وهذه الصفات لم تنفك عنه في دعوته قومه، فكيف والحال كما رأيت؟! مع التسليم الكامل، والتفويض التام لأمر الله تعالى.

وإذا كنا مأمورين بإراحة الذبيحة المأكولة، فما بالنا بطريقة الخليل إبراهيم مع ولده الذبيح في هذا البلاء العظيم؟! لا شك أنها أسمى وأرقى؛ لتصديق الخليل، وتسليم الذبيح! وصدق الله القائل: **{هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا}** (الحج ٧٨).

وقريب منه قول الراغب الأصفهاني: "وتَلَّه لِلْجَبِين" أسقطه على التلّ، كقولك: تربَّبه: أسقطه على التراب، وقيل أسقطه على تليله [عنقه]"(١).

على أن ثمة دلالة إشارية للفعل (تلَّه) يتناسب والسياق، وهو كون التلِّ مستندًا مريحًا للذبيح، فلا هي صخرة صماء يخر عليها صريعا، ولا هو مكبوب على وجهه منبطحا؛ إذ إن التعبير بقوله: (للجبين) يدل على أحد جانبي الجبهة- وهو الأيسر على الراجح- ليتمكن من ذبحه من خلفه؛ فلا يرى وجهه؛ حتى لا تأخذه الشفقة به؛ فيتأخر عن أمر الله تعالى.

- **وفي قوله تعالى: {وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِين}** [الصافات:١١٦].

ضمير الجمع عائد على موسى وهارون وقومهما، والفاء في قوله: (فكانوا)، وضمير الجمع عائد على موسى وهارون وقومهما، في للتعقيب الفوري، أو للتفريع على قوله: (ونصرناهم)، وكونها للتعقيب؛ لأن النصر لا يكون إلا من عند الله،

يقبله، وكل منهما يبكي، ومنها ما في حديث أخرجه أحمد وجماعة عن ابن عباس أنه قال لأبيه -وكان عليه قميص أبيض-يا أبت، ليس لي ثوب تكفني فيه غيره، فاخلع؛ حتى تكفنني فيه، فعالجه؛ليخلعه، فكان ما قصاه (ﷺ)" أ.هـ ينظر: روح المعاني ١٣٠/٢٣.

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (تلل)١١٢.

فإذا أراده الله لأحدٍ من الناس أو لأمة من الأمم كان من الغالبين لا محالة؛ فأعطاه الله أسباب النصر، وزلل له مصاعبه، وكونها للتفريع؛ لأن كونهم من الغالبين مفرع عن نصر الله لهم.

ودخول الفاء على فعل الكون لا على الخبر لإفادة التقوية، أو لبيان أنه مقدر في اللوح المحفوظ، و"ضمير الفصل(هم) لقصرهم على صفة الغلبة، أي: هم الغالبون لغيرهم، وغيرهم لا يغلبونهم، ولو مرة".(١)

- **وفي قوله تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}** [الصافات:١٢٧].

والضمير المفرد المنصوب في الفعل عائد على سيدنا إلياس (عليه السلام) والضمير المنصوب المجموع في (فإنهم) يعود على المكذبين من قومه.

وثمة فاءان في كلمتين متتابعتين، في قوله: (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ)، فالفاء الأولى للتفريع على قوله: (إذ قال لقومه)، أو على استفهام مقدر، أي: بم أجاب قومه؟ فقال: فكذبوه. والفاء الأخرى في قوله: (فَإِنَّهُمْ) للسببية، فتكذيبهم سبب لإحضارهم للعقاب.

- **وفي قوله تعالى: {وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}** [الصافات:١٣٨].

والكلام في قوم لوط (عليه السلام) لما كذبوه دمرهم الله تدميرًا – وأنتم تمرون على منازلهم –ليلًا ونهارًا–فما فيكم عقول تعتبرون بها.(٢)

والفاء في (أفلا) فصيحة، للعطف على محذوف مفهوم من المعطوف المنفى، أي: أجُنِنتُم فلا تعقلون شيئًا؟! وأنتم تشاهدون ما حلَّ بهم من العذاب، بسبب تكذيبهم رسولَهم، وقد اتصفتم بصفتم، ألا تخافون أن ينزل بكم ما قد نزل بهم؟!

- **وفي قوله تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِين}** [الصافات:١٤١].

وهنا فاءن، تعاقبتا في كلمتين متتاليتين، هما قوله: **(فَسَاهَمَ فَكَانَ)**.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٦٣/٢٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٣٥٣/٣ بتصرف يسير.

والكلام في نبي الله يونس (عليه السلام) عندما دعا قومه، فلم يؤمنوا، فذهب مغاضبًا، فاندفع إلى الفلك المملوء بالناس والبضائع، وانطلق، فهاجت الريح بالفلك، فأرادوا أن يتخففوا من ثقله، فاقترعوا- وكانت القرعة في مشهورة عندهم في مثل هذا- فوقعت القرعة عليه، مرة بعد مرة.

فالفاء في قوله: (فَسَاهَمَ) أي: فحدث ما يتطلب المساهمة (القرعة) فساهم، فهي الفصيحة، لأنها عطفت ما بعدها على محذوف مفهوم من السياق.

والفاء في قوله: (فَكَانَ) للتعقيب على وقوع سهم القرعة عليه، أي: "فصار من المغلوبين بالقرعة"(١).

- **وفي قوله تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيم}** [الصافات:١٤٢].

والفاء دالة على شدة السرعة في التقام الحوت لنبي الله يونس (عليه السلام) ولا شك في أن تقدير الله سابق، وإلقاء يونس في اليم لاحق لإعداد ذلك الحوت.

- والفعل (التقمه) مناسب لهذه السرعة الكائنة في الفاء، كما أنه مناسب لأهداف السورة وسياقها؛ فاللقم من اللقمة، وهو بلع خاص، من غير مَضْغٍ، ولا احتكاك بالحلق.

فاللقمة- في الأصل- تطلق على المرحلة الأخيرة لما يتناول باليد، ثم توسع فيها.

- وصوت الأحرف الثلاثة اللام والقاف والميم تعبر عن معناه أفضل تعبير؛ فاللام باتساع الفم حين نطقها، والقاف حين يحتجز صوتها في أقصى اللسان جهة الحلق، والميم عندما يغلق الفم عليها، يصور الموقف أعظم تصوير، وكأنك تشاهد-الآن- فم الحوت، وقد فتح جهة إلقاء نبي الله يونس (عليه السلام) فما لبث أن ابتلعه كاللقمة المستساغة، فاستقر في بطنه، فأغلق فمه عليه.

(١) ينظر: الكشاف ١٤٣/٣.

• ولعل في ذكر هذا الفعل هنا في سورة الصافات–دون سواها–مناسبة قوية لأهداف السورة، حيث إن لها علاقة بالبعث.

فما أشبهَ خروجَ يونسَ من بطن الحوت بعد أن التقمه بخروج الإنسان من قبره بعد بعثه، وما ألطف قولهم عن حوت يونس: (القبر الذي مشى بصاحبه)، وإن لم يكن في الحقيقة قبرًا له؛ إذ إنه كان فيه حيًّا، وليس ميْتًا، ولكنه يشبه القبر.

• **وفي قوله تعالى: {فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِين}** [الصافات:١٤٣].

والفاء في قوله: (فلولا) للتعقيب على التقام الحوت له، وكأنها تطمئننا عليه، قبل أن تكمل القصة، وهو يشبه الاعتراض.

دخلت الفاء على حرف امتناع لوجود، وهو (لولا)، لصبغة ركنيها بدلالتها، أي: لولا تسبيحُه–قبلُ وبعدُ– للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

• **وفي قوله تعالى: {فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيم}** [الصافات:١٤٥].

والفاء في قوله: (فَنَبَذْنَاهُ) فصيحة، لأن ما بعدها معطوف على كلام مقدَّرٍ مفهومٍ مما قبله، أي: فنادى في الظلمات مُسَبِّحًا ربَّه، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ والمعنى: فلفظه الحوت، إلى الشاطيء[١]، و"النبذ إلقاء الشيء وطرحه"[٢].

ونسبة النبذ لله تعالى، وليس للحوت يكفينا في الإجابة عن كل ما يتعلق بكيفية طرحه، أو لفظه من بطن الحوت، ويشير إلى صفتي الجلال والجمال، فالأولى لعظيم التأديب، والأخرى للحفظ والرعاية.

• **وفي قوله تعالى: {فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِين}** [الصافات:١٤٨].

وهنا فاءان، في قوله: **(فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ):**

• فالفاء الأولى للتعقيب العُرفي، نحو: تزوجَ فوُلِدَ لَه، وقيل الأقرب أن الفاء للتفصيل أو السببية[٣]، وكونها للتعقيب أولى؛ لأن إيمانهم هذا جديد، وهو مرتب

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٧٧/٢٣ باختصار.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (نبذ) ٦٠٨.

(٣) ينظر: تفسير روح المعاني١٤٧/٢٣.

على إرسال الله نبيه يونس (عليه السلام) إلى قومه–وهذا الإرسال الآخر، لأنه لما دعاهم أول مرة لم يؤمنوا، فتوعدهم بالهلاك، وخرج مغاضبًا–كما قص القرآن– وجرى له ما جرى، فخاف قومه من الهلاك فآمنوا بعد خروجه من قريتهم، وهؤلاء هم القوم المستثنون في تاريخ الأنبياء جميعا الذين توعدهم نبيهم بالهلاك بسبب عدم إيمانهم، فيؤمنوا دون علم رسولهم، فيرفع الله عنهم العذاب، كما قال تعالى في سورة يونس: **{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِين}** [يونس:٩٨].

- والفاء الأخرى تفيد السببية، فإيمانهم سبب في تمتيعهم بالحياة مدة بقائهم.

وما أجملَ أن تُخْتَمَ قِصصُ المنذَرين– في سورة الصافات– بعاقبةِ قومٍ آمنوا فمتَّعهم اللهُ (عز وجل) بسبب إيمانِهم فترةَ آجالِهم المحدودةِ في الدنيا، وإذا كان الإيمان سببًا في متعة الدنيا الفانية، فإنه سبيلُ النعيمِ السَّرْمَدِيّ في الجنة بإذن الله.

وهكذا وجدنا في هذا الجزء عدة معانٍ للفاء، تتفق والسياق العام للسورة الكريمة، كما تتناغم والسياق الخاص للآيات الواقعة فيها.

وفيما يلي فاءات الجزء الأخير من السورة، ودلالاتها، وأثر السياق في اصطفائها دون غيرها، ولاسيما في الآيات المتشابهة في المواضع الأُخَرَ:

المبحث الثالث

دفع إفك المشركين ودحض افتراءاتهم على الله تعالى.

وفي هذا الجزء وردت الفاء في اثني عشر موضعًا على النحو التالي:

- **في قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُون}** [الصافات:١٤٩].

وقد سبق نظيرها في قوله: **(فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا)**، للرد عليهم في إنكارهم البعث، وهنا جاءت في الرد عليهم في دعواهم الكاذبة في كون الملائكة بنات الله–تعالى الله عما يقولون علُوًّا كبيرًا.

فالفاء قيل لترتيب الأمر على ما يُعْلم مما سبق من كون أولئك الرسل أعلام الخلق (b) فإن ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد[١]، أو للتفريع[٢] على ما سبق من دحض افترائهم، ودفع إفكهم، وبيان قدرة الله تعالى عليهم، ويجوز أن يكون الكلام متصلًا ومعطوفًا على قوله: ((فَاسْتَفْتِهِمْ) الموضع الأول، أي عن هذا وذلك، ولا يضير الفصل الطويل؛ لأنه متعانق المعاني، ومترابط المباني، وآخذٌ بعضه بحجز بعض، كأنه كلمة واحدة[٣].

قلت: ومن عجائب القرآن أن يفصل بين الأمرين بفواصل كثيرة، ولكنها متعانقة ومتناسقة ومنسجمة، كأنها جملة واحدة، والأمثلة على ذلك كثيرة[٤].

غيرَ أن الأعجب من ذلك أن يُجْعَلَ لهذا الربطِ طرفان متماثلانِ، كأنهما – بتماثلِهما في المبنى والمعنى– يشيران إليك أنِ ارْبِطْ طَرَفَيْنَا، واجمعْ ما بيننا، فنحنُ على قلبٍ واحدٍ، ولله درُّ القائل[٥]:

وليسَ يُضِيرُ البعدُ بينَ جُسُومِنا .. إذا كانَ مابينَ القلوبِ قَرِيبًا

---

(١) ينظر: روح المعاني١٤٩/٢٣بتصرف.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير١٨٠/٢٣.

(٣) ينظر: روح المعاني ١٤٩/٢٣ باختصار وصياغة.

(٤) نحو مطالع السور ونهاياتها، والأسئلة وأجوبتها، مثل: (يسئلونك) في مطلع سورة الأنفال وقوله: (واعلموا أنما غنمتم)، وعطف قوله: (واعلموا) على نظيره، وغير ذلك.

(٥) البيت من بحر الطويل، لا يعرف قائله، ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي، ١٠٧/٨، تح/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية.

ففعل الأمر الوارد في الآية الحادية عشرة من السورة قوله: (فَاسْتَفْتِهِمْ) هو هو الوارد في الآية التاسعة والأربعين ومائة من السورة ذاتها، ولم يرد في القرآن الكريم إلا في هذين الموضعين.

ووجه ترتب المعطوف على المعطوف عليه السابق أن الله تعالى دلَّهم على ربوبيته وقدرته ووحدانيته هناك ودلَّهم على تنزهه (ﷻ) عن الولد هنا، وحسَّن العطفَ اتحادُ السائل والمسؤول والأمر في الجملتين.(١)

- **وفي قوله تعالى: {أَفَلاَ تَذَكَّرُون}** [الصافات:١٥٥].

الاستفهام إنكاري توبيخي، والفاء في قوله: (أفلا) للتفريع على الاستفهام الإنكاري الذي قبله، أي: استعمال عقولهم، أي: فمنكَر عدم تفهمكم فيما يصدر من حكمكم(٢).

هذا، وقد قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف: (تَذَكَّرُون) بتخفيف الذال، وأصله بتاءين(تتذكرون) فحذفت إحداهما تخفيفًا.

وقرأ الباقون: (تَذَّكَّرون) بتشديد الذال(٣)، وأصله بتاءين كما سبق، ولكن أدغمت التاء الثانية في الذال، وفي القراءتين إشارة إلى كون المخاطبين مفتقدين أدنى تذكر، غير أن قراءة حذف التاء أدلَّ على هذا المعنى من قراءة الإدغام؛ لحذف جزء من الكلمة رأسًا، وأما في الإدغام فهو كائن غير أنه مدغم، كإدغام ما في ذُكْرهم (بضم الذال: أي عقلهم).

وقراءة الإدغام تعبر عن عظيم الغضب، وشدة التوبيخ؛ لما فيها من ضغط وتشديد.

---

(١) نحو مطالع السور ونهاياتها، والأسئلة وأجوبتها، مثل: (يسئلونك) في مطلع سورة الأنفال وقوله: (واعلموا أنما غنمتم)، وعطف قوله: (واعلموا) على نظيره، وغير ذلك.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٨٣/٢٣.

(٣) ينظر: السبعة٢٧٢-٢٧٣، والنشر ٢٦٦/٢.

وقرئ في الشواذ أيضًا: (تَذْكُرُون)[1]، وفيها إشارة إلى شيء يعرفونه تمامًا، ولا يحتاج إلى فضل تذكر، أو تكلُّف كما في القراءتين السابقتين، وكأنها تشير إلى عادتهم في تفضيل البنين على البنات، ولو خُيِّرَ أحدُهم لاختار البنين، أفَتأبَون نسبةَ البنات إليكم، ثم تنسبونها زورًا وبهتانًا إلى ربكم –جل وعلا؟!

- **وفي قوله تعالى: {فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}** [الصافات:١٥٧].

الفاء للتفريع على قوله: **({أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِين}** [الصافات:١٥٦]، ومجيئُها بعد هذه الاستفهامات الإنكارية المتتالية يشير إلى أن هذ الآيات "صادرة عن سخط عظيم، وإنكار فظيع، واستبعاد لأقاويلهم شديد[2]، كما تشير إلى عجزهم؛ ولذلك أتبعها بالأمر التعجيزي (فأتوا بكتابكم)، وإضافة الكتاب إليهم للتهكم.

- **وفي قوله تعالى: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُون}** [الصافات:١٦١].

الفاء فصيحة" في جواب شرط مقدر، أي: إذا علمتم هذا، أو إذا كان المخلَصون ناجين"[3]، فإنكم وما تعبدون، والظاهر أن الواو هنا كالواو في قولنا: كلُ شيخٍ وطريقتُه، أي: مقترنان، فالمعنى: أنتم ومعبوداتُكم مقترنون، واعلموا أن هلاككم على أنفسكم، فلن تفتنوا أحدًا إلاَّ من سَبق عليه الكتابُ أنه ضال.

ويحسُن هذا الأسلوب في ختام محاورة من لم ينتفعْ من العظة، ولم تُجدِ معه النصيحة، فيقال له: أنت وما تريد، ويكون هذا أحسنَ في الردِّ المقنِع الذي يتَجَلَّى لكلِّ ذِي عَيْنَينِ، ومع ذلك يبقى المُجَادلُ على مُعْتَقَدِه.

- **وفي قوله تعالى: {فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُون}** [الصافات/١٧٠].

---

(١) نسبت إلى طلحة بن مُصَرِّف، كما في البحر المحيط ٣٧٧/٧.

(٢) ينظر: الكشاف٣ /٣٥٥.

(٣) روح المعاني ١٥٢/٢٣.

وهنا فاءان، في قوله: (فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ) والفاء الأولى فصيحة، أي: جاءهم ذكر –وأيُّ ذكر، سيدُ الأذكار، وكتابٌ مهيمنٌ على سائرِ الكتب والأخبار– فكفروا به. [(١)]، أو أنها للتعقيب على (ليقولون)، أي: استمرَّ قولُهم، حتى كان آخرُه أنَّهم كفروا بالكتاب المنزَّل[(٢)].

والفاء في قوله: (فَسَوْفَ) للتعقيب على كفرهم، وفيها معنى السببية؛ إذ إن كفرهم سبب عذابهم المفهوم من هذا التهديد، وسوف –هنا– مثل السين في إفادة مطلق الاستقبال، فهي للوعيد لا للتبعيد[(٣)]، ولا شك أن زيادة مبناها تدل على ما تحمله من شدة الغضب وعظيم ما ينتظرهم من العقاب.

- **وفي قوله تعالى: وفي قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ}** [الصافات: ١٧٤].

الفاء للتفريع على قوله: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ)، وما بعدها؛ لأن فيما سبق تنفيس عنه، وتسلية وتسرية، وما بعد الفاء فيه أمر بالإعراض عنهم والتولية، والحين: المدة اليسيرة، وهي مدة الكف عن القتال[(٤)].

(١) روح المعاني٢٣/١٥٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/١٩٤ بتصرف.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/٣٥٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ذاته، باختصار.

- **وفي قوله تعالى: {وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}** [الصافات:١٧٥].

والفاء للتفريع على الأمر بإبصارهم، وقد ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن صيغة الأمر هنا مستعملة في الإرشاد، على حدِّ قوله:

إذا أعجبتْك الدهرَ حالٌ مِنَ امْرِئٍ.. فدَعْهُ وواكلْ أمرَه والليـاليا(١)

قلت: وإدراك مثل هذه المعاني المجازية لفعل الأمر يختلف في الأذواق، وليست محصورة فيما ذكروه، فلا أرى في الأمر (أبصِرْهم) معنى الإرشاد الكائن في البيت السابق، وأمثاله: من نحو قول الله تعالى: {**إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**} (البقرة/٢٨٢)، أو قول الوالد لولده: أبصرْ فلانًا اللاهي فسوف يُبصر يوم الامتحان، فهذا إرشاد؛ إذ إن الولد قد يعجبه اللهو واللعب كما يلعب الآخرون.

وأما المخاطب هنا فهو رسول الله (ﷺ) الذي خاطبه من قبل بقوله: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ)، وهو حريص على هدايتهم، وأسيف علي حالهم، وباخع نفسه عليهم، فأمَرَه بإبصارِ مآلهم؛ حتى لا يحزنَ عليهم، ولا يشقَّ على نفسِه. والله أعلم!

وأرى أن الأمر هنا مستعمل تسليةً للمخاطب وتأكيدًا لوقوعه، لأن هذه الحال التي أمر أن يبصرهم عليها حال موعودة في المستقبل، فالأمر بإبصارهم الآن لأنها واقعة لا محالة، كأنها أمام عينيك(٢).

- **وفي قوله تعالى: {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ}** [الصافات:١٧٦].

الاستفهام توبيخي، والفاء للتفريع على التأجيل المفهوم من قوله: (حتى حين)، فكأنهم استعجلوا نزول العذاب استهزاء وسخرية(٣).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير٢٣/١٩٦. والبيت لأفنون التغلبي في حماسة البحتري، ينظر: شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد حسن شُرَّاب ٣/٣٦٥.

(٢) ينظر كلام الزمخشري٣/٣٥٧، والآلوسي ٢٣/١٥٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/١٩٧.

سبحانك! ما أعظم حلمك! قالوا فيه ما قالوا، وافتروا على الله الكذب، وما زال الله يحذرهم، وينذرهم، ويخوفهم، لعلهم يذَّكَّرون.

أفرأيت كيف يوبخهم، ويضيف العذاب إليه تعظيما وترهيبًا، ويصفهم بالمنذَرين في موضعين (الآيتين٧٣، ١٧٧)، ويكرر تهديدهم (فسوف يعلمون) لعلهم يرجعون إليه، ويفيئون إلى رحابه!

- **وفي قوله تعالى: {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ}** [الصافات:١٧٧].

وهنا فاءان، في قوله: (فإذا) و(فساء)، فالفاء الأولى للتفريع على ما قبله من استعجالهم العذاب، أي: كانوا يستعجلونه، فإذا نزل بهم رأوا ما لم يخطر لهم على بال، ولا داعي لجعل الفاء فصيحة؛ لأن تقدير معطوف عليه لا يخلو من تكلف.

والفاء الأخرى الداخلة على فعل الذم (ساء) فإنها واقعة في جواب (إذا) لربط الجواب بالشرط، أي: إذا نزل العذاب بهم، فبئس الصباحُ صباحُهم[١].

هذا، وقد قرأ الجمهور: (نَزَلَ) مبنيًا للفاعل، أي: العذاب، أو الرسول (ﷺ)، وقرئ: (نُزِل) مبنيًا للمفعول[٢]، بتخفيف الزاي، وفي قراءة أخرى: (نُزِّل) مبنيًّا للمفعول، بتشديد الزاي[٣]، وفي البناء للمفعول معنى المفاجأة، بحيث لا يفيقون إلا وقد حل بهم، لا يدرون زمانه ولا جهة نزوله.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/٤٢٥.

(٢) نسبت إلى عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، كما في المحتسب٢/٢٢٩.

(٣) نسبت إلى ابن مسعود وأبي عمران الجوني والجحدري وابن يعمر، ينظر: إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢/٣٨٥.

إلا أن قراءة (نُزِل) بالتخفيف تدل على نزوله دفعة واحدة، وفي (نُزِّل) معنى المضاعفة بتدرج، كأنه ينزل عليهم دفعات متتابعة، آخرها أشد من أولها. والله أعلم!

- **وفي قوله تعالى: {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}** [الصافات:١٧٩].

ودخلت الفاء على (سوف) هنا للمرة الثالثة[١]، وهي للتفريع على الأمر السابق، وسوف للوعيد والتهديد، لا للتسويف والتبعيد[٢]

كرر الأمر بالإبصار تأكيدا، أو أن الأول في الدنيا والثاني في العقبى، والتقدير: أبصر ما ينالهم فسوف يبصرون ذلك، وقيل: أبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون معاينة، وقيل: أبصر ما ضيعوا من أمرنا فسوف يبصرون ما حل بهم.

وحذف الضمير من الثاني اكتفاء بالأول. وقيل: مضمر تقديره: ترى اليوم عزهم إلى ذل، ونرى بعد اليوم ما تحتقر ما شاهدتهم فيه من عذاب الدنيا[٣].

ولما كان مدار السورة الكريمة حول ترسيخ عقيدة التوحيد، والرد على مزاعم المشركين في الذات العلية، وذكر عزة الله تعالى، وإعزازه رسله الكرام-عليهم الصلاة والسلام- ونصرة جنده وأوليائه، وهلاك أعدائه، وإبطال مكرهم وكيدهم- كان ختامُ المسك مسكَ الختام، فختم السورةَ الكريمةَ بثلاثِ كلمات، هنَّ مِلاك معانيها، وهديةُ قارئيها، حتى نتعلَمها، فنذكرَه بها، وقد أورد الزمخشري[٤] وغيره

(١) في الآيات: (١٧٠، ١٧٥، ١٧٩) من سورة الصافات.

(٢) ينظر: روح المعاني٢٣ /١٥٦، بتصرف.

(٣) ينظر: البرهان في متشابه القرآن ٢٨٦، بتصرف .

(٤) ينظر: الكشاف ٣٥٨/٣، وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢٣٦/٢، وأبو نعيم في الحلية١٢٣/٧، والثعالبي في الكشف والبيان ١٧٤/٨، وغيرهم.

عن علـيٍّ (ﷺ) موقوفًا: مَنْ أحبَّ أن يكتالَ بالمكيال الأَوْفَى من الأجرِ يومَ القيامةِ، فلْيكنْ آخرُ كلامِه إذا قام من مجلسه: **{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون. وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِين. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}** (الصافات/١٨٠-١٨٢).

الخَاتِمَةُ

ونسأل الله حُسْنَها

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد،

فقد عشتُ في رحاب سورة الصافات، ووقفت عند آياتها المشتملة على عدد من الفاءات، محاولًا تدبرَ معانيها، وسرِّ ورودها في كل موضعٍ، وبيانَ أثرِ السياق في اصطفاء الفاء في كلماتها، وتَوَصَّل البحثُ- بفضلِ اللهِ تعالى- إلى نتائجَ قيّمَةٍ، قَسَّمْتُها إلى ثلاثة أقسام-حسب نوع لدراسة، وقبل سرد النتائج قمت بحصر هذه الفاءات في جدول؛ ليوضح للقارئ الكريم عددَ الفاءات، ومواضعَها، ونوعَ الكلمات الداخلةِ عليها، ومعنى الفاء في كلِّ موضعٍ، تحريرًا لدقة النتائج، وتوثيقًا لمواضع الفاء، ومرآةً مُحَدَّبَةً لإظهارِ جميعِ المواضعِ السابقة في صورةٍ مُصَغَّرَةٍ على النحو الآتي:

م	موضع الفاء	نوع الكلمة	معنى الفاء	رقم الآية
١	فالزاجرات	صفة (اسم فاعل)	التعقيب	٢
٢	فالتاليات	صفة (اسم فاعل)	التعقيب	٣
٣	فَأَتْبَعَهُ	فعل ماض	التعقيب وكمال السرعة	١٠
٤	فاستفتهم	فعل أمر	تفريعية	١١
٥	فإنما	حرف توكيد	تفريعية	١٩
٦	فإذا	ظرف فجائي	للتعقيب وكمال السرعة	١٩
٧	فاهدوهم	فعل أمر للتهكم	للتعقيب	٢٣
٨	فحق	فعل ماض	تفريعية	٣١
٩	فأغويناكم	فعل ماض	تفريعية – أو للتعقيب	٣٢
١٠	فَإِنَّهُمْ	حرف توكيد	تفريعية أو فصيحة	٣٣
١١	فأقبل	فعل ماض	للتعقيب	٥٠

١٢	فاطلع	فعل ماض	فصيحة	٥٥
١٣	فرآه	فعل ماض	للتعقيب	٥٥
١٤	أفما	حرف نفي	فصيحة	٥٨
١٥	فلِيعمل	مضارع مجزوم بلام الأمر	تفريعية	٦١
١٦	فإنهم	حرف توكيد	تفريعية	٦٦
١٧	فمالؤون	صفة(اسم فاعل)	للتعقيب	٦٦
١٨	فهم	ضمير	للتعقيب	٧٠
١٩	فانظر	فعل أمر	تفريعية	٧٣
٢٠	فلنعم	حرف توكيد للجواب	تفريعية أو للتعقيب	٧٥
٢١	فما ظنكم	اسم استفهام	تفريعية	٨٧
٢٢	فنظر	فعل ماض	تفريعية	٨٨
٢٣	فقال	فعل ماض	تفريعية	٨٩
٢٤	فتولوا	فعل ماض	للتعقيب	٩٠
٢٥	فراغ	فعل ماض	للتعقيب مع كمال السرعة	٩١
٢٦	فقال	فعل ماض	للتعقيب مع كمال السرعة	٩١
٢٧	فراغ	فعل ماض	للتعقيب مع كمال السرعة	٩٣
٢٨	فأقبلوا	فعل ماض	للتعقيب النسبي	٩٤
٢٩	فألقُوه	فعل أمر	تفريعية	٩٧
٣٠	فأرادوا	فعل ماض	للتعقيب أو للتفسير	٩٨
٣١	فجعلناهم	فعل ماض	للتعقيب وكمال السرعة	٩٨
٣٢	فبشرناه	فعل ماض	للتعقيب وكمال السرعة	١٠١
٣٣	فلما	ظرف متضمن معنى الشرط	فصيحة	١٠٢
٣٤	فانظر	فعل أمر	تفريعية	١٠٢
٣٥	فلما	ظرف متضمن معنى الشرط	للتعقيب	١٠٣
٣٦	فكانوا	فعل ماض ناقص	للتعقيب وكمال السرعة	١١٦
٣٧	فكذبوه	فعل ماض	تفريعية	١٢٧
٣٨	فإنهم	حرف توكيد	سببية	١٢٧

٣٩	أفلا	حرف نفي	فصيحة	١٣٨
٤٠	فساهم	فعل ماض (فريد)	فصيحة	١٤١
٤١	فكان	فعل ماض	للتعقيب	١٤١
٤٢	فالتقمه	فعل ماض (فريد)	للتعقيب مع كمال السرعة	١٤٢
٤٣	فلولا	حرف امتناع لوجود	للتعقيب	١٤٣
٤٤	فنبذناه	فعل ماض	فصيحة	١٤٥
٤٥	فآمنوا	فعل ماض	للتعقيب العرفي/أو للتفصيل/أو للسببية	١٤٨
٤٦	فمتعناهم	فعل ماض	للتعقيب وكمال السرعة	١٤٨
٤٧	فاستفتهم	فعل أمر	للترتيب أو للتفريع	١٤٩
٤٨	أفلا	حرف نفي	تفريعية	١٥٥
٤٩	فأتوا	فعل أمر	تفريعية	١٥٧
٥٠	فإنكم	حرف توكيد	فصيحة	١٦١
٥١	فكفروا	فعل ماض	فصيحة	١٧٠
٥٢	فسوف	حرف تنفيس للتهديد	للتعقيب	١٧٠
٥٣	فتول عنهم	فعل أمر	تفريعية	١٧٤
٥٤	فسوف	حرف تنفيس للتهديد	تفريعية	١٤٥
٥٥	أفبعذابنا	جار وجرور	تفريعية	١٤٦
٥٦	فإذا	ظرف متضمن معنى الشرط	تفريعية أو فصيحة	١٧٧
٥٧	فساء	فعل ماض للذم	واقعة في جواب الشرط	١٧٧
٥٨	فسوف	حرف تنفيس للتهديد	تفريعية	179

من خلال الجدول السابق نستنتج الآتي:

أولا: نتائج دراسة دلالات الفاء ومعانيها:

- وقعت الفاء للترتيب والتعقيب – وهو المعنى العام لها– في تسعة وعشرين موضعًا، أي بنسبة ٥٠٪ تقريبًا من مجموع الفاءات في السورة، منها التعقيب السريع في عشرة مواضع، ولا تخلو بقية مواضع التعقيب من معنى السرعة، والتعقيب النسبي أو العرفي في موضعين.
- جاءت الفاء تفريعية – وهو معنى أخصُّ من التعقيب، ولا يمنعُه–في ثمانيةَ عشرَ موضعًا، أي بنسبة ٣١٪ تقريبًا.
- ووردت الفاء الفصيحة– التي تُفصح عن معطوفٍ عليه مقدَّرٍ قبلَها، شرطًا كان أو غيرَه– في ثمانيةِ مواضع، أي بنسبة ١٣٪ تقريبًا.
- وقعت كلٌّ من الفاء (الواقعة في جواب الشرط) والسببية في موضع واحد.
- واحتمل معناها التعقيبَ والتفريعَ في ثلاثةِ مواضع، كما احتمل التفريعَ وكونَها فصيحةً في موضعين، واحتمل معناها التعقيبَ والتفسيرَ في موضعين، واحتملت المعاني الثلاثة(التعقيب العرفي والتفصيل والسببية) في موضعٍ واحد.

ثانيًا: نتائج دراسة السياق وأثره في اصطفاء الفاء:

- كان للسياق أثره الواضح في اصطفاء الفاء، ومن خصائص العطف بها ربط معطوفيها وإن تباعدا، وقد تحقق ذلك في موضعي (فاستفتهم)؛ حيث جاز عطف الأخير على الأول وبينهما فاصل طويل، ولكنه مترابط.
- وقد تكررت بعض الكلمات لمناسبة الموقف، نحو: (فاستفتهم) و(فتول عنهم)، و(فسوف يبصرون).
- تجلى دورُ الفاء في ربط الأحداث الماضية بواقع الدعوة وسيد الدعاة، سيدنا محمدٍ رسولِ الله (ﷺ) ويبدو ذلك واضحًا في نوع الكلمات الداخلة عليها، على النحو الآتي:

١-دخلت الفاء على الأسماء تسع مرات، أي: بنسبة (ثلاث صفات، وأربعة أظرف، وضمير، واسم استفهام).

٢-كما دخلت على الأفعال خمسًا وثلاثين مرة، أي بنسبة ٦٩٪ تقريبًا، وكان الفعل الماضي أعلى نسبة من غيره؛ إذْ بلغَ عددُ مراتِ دخولها عليه ستًّا وعشرين مرة، أي بنسبة٤٤٪ تقريبًا والأمر تسع مرات، منها مرة بالمضارع المجزوم بلام الأمر. ولم تدخل الفاء على المضارع في هذه السورة؛ وذلك لأن سياقَها في إثبات البعث- وإن كان أمرًا في المستقبل- ولكن السياق هنا ليس عن مجرد الإخبار به، وإنما عن إثباته والرد على من ينكره، وهذا يتطلب صيغة الماضي لتأكيد الوقوع، كما عبر القرآن عنه بصيغة الماضي في قوله: **{أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون}** [النحل:١],

ومما يؤكد هذا الربط بين سياق الأحداث الماضية وواقع المخاطب-إما في عصر نزول السورة الكريمة وإما في عصرنا إلى يوم البعث-دخول الفاء على الأمر بصيغة المضارع المجزوم بلام الأمر في قوله تعالى: **{لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُون}** [الصافات:٦١]، وفرق بين دخول لام الأمر على المضارع لاستحضار الصورة، والتحفيز على العمل، وشحذ الهمم- وبين الأمر بصيغة (اعملوا).

كما دخلت الفاء على الحروف خمسَ عشرةَ مرةً، منها ست مرات على حرف التوكيد، لمناسبة إبطال كيدِ الكافرين، وإثبات الحق المبين.

- ذكرت الفاء في قصة إبراهيم وحدَها-في سورة الصافات خمسَ عشرةَ مرةً، وهذا العدد لم يُذْكَرْ في سورة من السور التي ذكرت قصة إبراهيم في القرآن الكريم، وإليك البيانَ:
- قصة إبراهيم في سورة هود- من الآية ٦٩، إلى الآية ٧٦، ولم تذكر الفاء إلا في أربعة مواضع.

وفي قصة إبراهيم في سورة إبراهيم- من الآية ٣٥ إلى الآية ٤١، لم تذكر الفاء إلا في أربعة مواضع أيضًا.

وفي سورة الحجر ذكرت قصتا إبراهيم ولوط عليهما السلام من الآية٥١ إلى الآية ٧٧، ذكرت الفاء في سبعة مواضع.

وفي سورة الأنبياء ذكرت الفاء في قصة إبراهيم (عليه السلام) في ثمانية مواضع، من الآية ٥١ إلى الآية ٧٢، وهي أطول في قدر الكلمات من سورة الصافات، فآياتها طويلة، وأما آيات سورة الصافات فقصيرة.

وفي سورة الشعراء ذكرت الفاء في سبعة مواضع من الآية٦٩، إلى الآية١٠٤.

وهكذا نرى أن قصة إبراهيم في سورة الصافات، قد حَوتْ فاءات، لم يذكر مثلها في قصة إبراهيم في سورة أخرى.

ثانيًا: وردت الفاء على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في ثمانية مواضع، وذكرت في موضع واحد على ألسنة قومه الكافرين في قولهم: (فأَلْقُوه)، ووردتْ في ستة مواضع إخبارًا من الله تعالى، عن القصة.

وفي ذلك إشارة إلى امتلاك إبراهيم الخليل الحجة الدامغة، وعجزِ القوم أمامَ حُجَّتِه، فلم يملكوا إلا التهديد بالقتل، كدأب الطغاة والظالمين.

ثالثًا: غلب على دلالة الفاء معنى التفريع على مذكور سابق، وهذا من أقوى عوامل الربط والانسجام والتلاحم والتناغم بين السباق واللحاق، والسياق.

ورأينا من دلالاتها ما ينسجم وأغراضَ السورة الكريمة، وما يتناغم والسياقَ.

وحاولنا إبرازَ بعضِ أسرارِها في المواضع المتشابهة، وربطها بسياق السورة والآيات.

ثالثا: نتائج القراءات وأثرها في اختلاف دلالة الفاء:

كان للقراءات القرآنية الواردة في الآيات الكريمة أثر كبير في إظهار معنى السرعة الكائن في تعقيب الفاء.

وقد تجلى ذلك – كما سبق كلٌ في موضعه– في القراءات الواردة في الكلمات الآتية: (فاطَّلع/ ويَزِفُّون/ وأسْلَما/ وأفلا تذَكَّرون).

وفي ختام هذا البحث المتواضع أرفع أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل، ويجعلَه خالصًا لوجهِه الكريم، ويغفرَ لنا ما فيه من زلل أو سهوٍ أو تقصير، فما أردت إلا تدبرَ آياته، والوقوف على شيء من أسراره، وكم في هذا الكتاب من أسرارٍ وأنوار، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، وصلِ اللهم وسَلِّمْ وبارِكْ على سيدنا محمدٍ معلم الناسِ الخيرَ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

• القرآن الكريم – رواية حفص عن عاصم – مصحف المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
• أثر السياق في اصطفاء أحد المصادر المتعددة للفعل الواحد في القرآن الكريم، للدكتور نصر سعيد، مجلة كلية القرآن الكريم، العدد الرابع، لسنة١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.
• أسباب حدوث الحروف لابن سينا، صححه: محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٣٢هـ.
• الأصوات اللغوية، للدكتور: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٧١م.
• إعراب القراءات الشواذ للعكبري، تحقيق: محمد السيد عزوز، ط/الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
• أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، للدكتور: عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ الرابعة ١٩٩٨م.
• البرهان في متشابه القرآن للكرماني، راجعه: أحمد عز الدين خلف الله، دار الوفاء للطباعة، مصر، المنصورة، ط/الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
• تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
• التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٣٠١/٢، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية.
• تفسير أبي السعود=إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن مصطفى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.ت.
• تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد، وعلى معوض، دار الكتب العلمية، ط/١٩٩٣م-١٤١٣هـ.
• تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور-دار سحنون بتونس، ط.ت.

- تفسير الثعلبي= الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: ابن عاشور والساعدي، دار إحياء التراث العربي، سنة النشر: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- تفسير الشوكاني= فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني، راجعه وعلق عليه: هشام البخاري، وخضر عكاري، المكتبة العصرية، بيروت١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد الردوني، دار الشعب، ط٢، القاهرة ١٣٧٢هـ.
- التيسير، لأبي عمرو الداني-عني بتصحيحه: أوتوير تزل، دار الكتب العلمية، ط/الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- حاشية الشهاب على البيضاوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٠م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، للشيخ: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث بالقاهرة١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، مكتبة دار التراث، ط.ت.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أحمد فريد، المكتبة التوفيقية، ط.ت.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المطبعة الميمنية، ط/الأولى، ط.ت.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.
- شرح المرادي للألفية، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل البابي الحلبي، ط.ت.
- العين للخليل تح الدكتور: مهدي المخزومي، والدكتور: إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط/١٣ لسنة١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- كتاب الأفعال لأبي عثمان السرقسطي، تح: حسين محمد شرف، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٧٨م.
- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق د.: شوقي ضيف، دار المعارف، ط/ الثالثة، ط.ت.
- كتاب سيبويه، لأبي بشر بن عمرو بن قَنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط/ الأولى، ط.ت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط/ الثالثة-١٤٠٧هـ.
- لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، المطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، ط/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

- معاني الحروف للرماني، تحقيق: عرفان حسونة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- معاني القرآن للفراء، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: علي النجدي ناصف، ط/ دار السرور، ط.ت.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور: محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م
- معجم القراءات للدكتور: عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، للطباعة والنشر والتوزيع، ط.ت.
- مفردات ألفاظ القرآن للراغب، تح: مصطفى العدوي، مكتبة فياض، ط.ت.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، العيني بدر الدين، المحقق: علي محمد فاخر- أحمد محمد توفيق السوداني - عبد العزيز محمد فاخر، ط/ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- المقتضب للمبرد، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. - بيروت.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الفكر، ط.ت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.
- نهاية القول المفيد في علم التجويد، لمحمد مكي نصر، مصطفى البابي- القاهرة١٣٤٩هـ.
- نهج البلاغة للشريف الرضي، تح: الإمام محمد عبده، ط/دار الكتب العلمية، لسنة١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

كشاف الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص عربي	١٢٧
الملخص إنجليزي	١٢٨
المقدمة	١٢٩
التمهيد	١٣٢
المبحث الأول: دلالات الفاء في الحديث عن الملائكة والجن والإيمان بالبعث	١٤٠
المبحث الثاني: دلالات الفاء في قَصص المنذِرين وعاقبةِ المنذَرين	١٥٦
المبحث الثالث: دلالات الفاء في دفع إفك المشركين ودحض افتراءاتهم على الله تعالى	١٨٠
الخاتمة	١٨٨
المصادر والمراجع	١٩٥
فهرس الموضوعات	٢٠٠